الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الفهرس

رئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المراسلات جميعها تكون باسم
السيد مدير ادارة المجلات
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد . القاهرة

تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الاشتراكات ١٥٠ سنويا
ويضاف أجر البريد
من خارج ج.ع.م

العدد ٥٦ – ٥ ربيع الآخر ١٣٨٤ هـ – ١٣ اغسطس ١٩٦٤ م – السنة الثانية

التجديد الديني

للدكتور محمد أحمد خلف الله

- ٢ -

أثرنا في مقالنا السابق بعض المسائل التي يمكن الاعتماد عليها في احداث حركة فكرية جديدة في ميدان العلاقات بين أوضاعنا الراهنة والروح الدينية الاسلامية ، حركة فكرية تفسر حياتنا ، وتقدم الحلول لمشكلاتنا ، وتجعلنا أبدا أبناء تراثنا الديني وثقافتنا القومية .

وكان من المسائل المذكورة الطريقة التي يتم فيها التجديد ، ولقد رأينا ان هذا التجديد يتم في ميدان التشريعات المدنية عن طريق استبدال نص قديم بآخر جديد . وان الذي يملك الحق في احداث هذا الاستبدال انما هي الهيئات التشريعية التي تملك حق وضع القوانين ابتداء .

والآن نريد أن نتخذ من هذه المسالة نقطة انطلاق في التجديد الديني عن طريق أصل من الأصول الأربعة ـ وهو الاجماع .

انهم يقولون ان الاجماع انما يكون حين لا يوجد نص من كتاب او سنة صحيحة ـ ومعنى ذلك أن الحكم الشرعي الذي يجيء عن طريق الاجماع يكون حكما شرعيا مستحدثا ، وانه حكم في مسائل لم تكن موجودة زمن النبي والا نزلت فيها الآيات أو قيلت في شأنها الأحاديث .

والاجماع حين يكون فيما لا نص فيه يجيء في عبارات هي من صنع المجتهدين من رجال الدين ـ ومعنى ذلك أيضا أن القداسة التي تكون لنص الكتاب الكريم ، وأن الحرمة التي تكون لنص الحديث النبوي الشريف ، لا تكونان هنا .

والسؤال الآن : هل من الممكن اعتبار الاجماع من وادي التشريعات المدنية فيكون لنا الحق في استبدال الأحكام الواردة عن طريقه بأحكام اخرى تتفق وحياتنا الجديدة ـ أو لا ؟

ان الاجابة عن هذا السؤال تفتح أمامنا أبوابا واسعة وميادين هامة في التجديد الديني . وفي ربط حياتنا المعاصرة بالروح الدينية الاسلامية التي أثبت تاريخ التشريع الاسلامي أنها كانت جريئة مقدامة .

والاجابة عن هذا السؤال واضحة . وقد اكتفي في ذلك بايراد بعض العبارات التي تقرر ، وتؤكد ، ماتريد الانتهاء اليه .

يقول السيد محمد اقبال شاعر الهند العظيم وفيلسوفها الكبير :

هب ان اجماع الصحابة قد انعقد على أمر أيكون اجماعهم هذا ملزما للأجيال التي تأتي بعدهم ؟

لقد أفاض الشوكاني في مناقشة هذا الأمر ، وأورد آراء فقهاء المذاهب المختلفة . وأعتقد أنه يجب ان نفرق هنا بين اجماع يتعلق بواقعة من الوقائع واجماع يتعلق بحكم شرعي ـ أي نقطة قانونية .

ففي الحالة الأولى ، كما حدث مثلا عندما نشأ البحث في كون السورتين القصيرتين المعروفتين باسم ـ المعوذتين ـ يكونان جزءا من القرآن أم لا ، وانعقد اجماع الصحابة على أنهما جزء من القرآن ، نكون ملزمين باجماعهم هذا ، لأن من البين أن الصحابة وحدهم كانوا بحيث يعرفون حقيقة الأمر .

اما الاجماع الخاص بتقرير قاعدة شرعية فان الأمر فيه لا يعدو أن يكون موضوع تأويل .

واني لأجرؤ على القول ـ معتمدا على قول الكرخي

ـ بان الأجيال اللاحقة ليست ملزمة باجماع الصحابة ٠

يقول الكرخى : ان سنة الصحابة تكون ملزمة فى الأمور التى يجلوها القياس ، وليست كذلك فيما يمكن ان يتقرر بالقياس ٠

ان هذا الكلام واضح ٠ وعلى كل فطبيعة الاجماع هى بعينها طبيعة التشريعات المدنية ٠ انها وضع القوانين أو القواعد المنظمة للعلاقات بين الناس والناس أو بين الأشياء والناس بواسطة الهيئة التشريعية ٠

ان الاجماع ليس الا اتفاق المجتهدين على حكم شرعى ٠ والقوانين المدنية لها نفس الطابع ، ولعل نظامها يكون أدق ٠

ان التشريعات المدنية الحديثة تمر بادوار قبل أن تنتهى الى أن تصبح قانونا ملزما ٠ ففيها العمل الفنى الذى يقوم به المتخصصون ـ أى المجتهدون فى كل علم وفن من أمثال الأطباء ، والمهندسين ، والقضاة ، والمعلمين ، وكل ذى حرفة ومهنة ٠

وفيها العمل القانونى الذى تتم فيه الصياغة ٠ ويتم فيه التوزيع على مواد وعلى فقرات ٠

وفيها الاجتماعى الذى يقوم فيه أعضاء مجلس الأمة بتقرير مدى أهمية هذه التشريعات ، ومدى تحقيقها لمصلحة الأمة او الجماعة ٠

ثم يجىء بعد ذلك اصدار التشريع وجعله ملزما ٠

مرة ثانية نقول ان طبيعة الاجماع هى طبيعة الأعمال التشريعية المدنية ، وان تكن الأخيرة أدق وأكمل تنظيما ٠

والسؤال الآن : ألا تعتبر التشريعات المدنية الحديثة الخاصة بالمعاملات والصادرة عن الهيئات التشريعية الحديثة من قبيل الاجماع ؟

انى أعتبرها كذلك ، ولا عبرة فى هذا الموقف بمخالفتها لاجماع سابق حتى ولو كان هذا الاجماع اجماعا للصحابة رضى الله عنهم ٠

ان من المسلم به عند فقهاء المذاهب أن الأحكام الشرعية المبنية على اجتهاد الفقهاء ، والتى لا نص عليها لا فى القرآن الكريم ولا فى السنة النبوية الشريفة قابلة لاجتهاد مخالف، ومعنى ذلك أنها قابلة للتعديل والتغيير وفق مصالح الناس وحاجاتهم ، ووفق ظروف المجتمع والمكان والزمان ٠

واننى من هنا أعد التشريعات الحديثة من قبيل الاجماع ٠

قد يقول قائل : ان هذا يوجد اختلافا فى الاحكام الشرعية ـ فى كل أمة على حدة ـ مادام المسلمون أمما مختلفة ، ومادامت مجالس الأمم متعددة من حيث أن لكل دولة مجلسها ٠

والظاهرة توجد حتما ، ولكن لا ضير.فالواقع أن الأمم الاسلامية لا تدين بمذهب واحد ٠ فالتيارات الدينية مختلفة بين شيعة وسنة ، والمذاهب فى كل فرقة متعددة ٠

ان هذا الاعتراض انما يكون لو أنا ندين بمذهب واحد ـ ونرجو ألا نصل الى هذا الوضع والا وقف العقل عن التفكير ، وجمد الفكر الدينى على وضع بعينه وعند ذلك ينصرف الناس عن التشريعات الدينية ٠

ان فى الحركة الفكرية بركة ، وبركة ، وبركة ٠

وقد يقول قائل آخر : ان الاجتهاد كان سهلا يسيرا على العلماء السابقين أما اليوم فمن الصعوبة بمكان ، وأنه من أجل هذا يجب الا نفتح هذا الباب مرة ثانية ٠

والقول غير صحيح ٠ ولعل العكس هو الصحيح ٠

ان تفاسير القرآن الكريم ، وشروح الأحاديث النبوية الشريفة ، قد تعددت الى الحد الذى يجعل المواد اللازمة للاجتهاد حاضرة ميسرة لكل مجتهد ٠

وان التقدم العلمى والرقى الفكرى يساعدان على المضى فى الاجتهاد دون خشية من الانحراف أو الخطأ ٠

وان الدراسات قد تعددت الى الحد الذى يجعل ثقافة من يريد أن يجتهد أدق وأعمق من ثقافات السابقين ٠

ان رجال اليوم ، وبخاصة من يتصدون للتشريع منهم ، أقدر على ادراك سر الحياة من السابقين ٠

انهم وحدهم القادرون على بث الحركة ، وبعث القوة والنشاط ، فى التشريع الاسلامى ٠

انهم وحدهم القادرون على احداث حركة التجديد والتطور ، فافتحوا أمامهم الابواب ، ولا يضير الدين فى شىء أن يأتوا بما يخالف آراء السابقين ٠

ان الخطر قد يكون فيما يخالف النص لا فيما يخالف الاجماع أو اجتهاد المجتهدين السابقين

(للبحث بقية)

الثروات الطبيعية والتصنيع

من خلال آيات القرآن الكريم

بقلم: محمد محمد المدني

- ٢ -

يتصل الانتاج الحيواني بالانتاج الزراعي اتصالا وثيقا ، فكلما كان هناك رواج زراعي ، كان هناك رواج حيواني .

وسبب ذلك واضح ، وهو ان الحيوان ككائن حي يحتاج الى الغذاء ويفتقر الى العوامل الطبيعية للنمو والتوالد ، وهو يجد ذلك بصورة سهلة منتظمة في البيئات الزراعية .

حتى ان علماء « **الجغرافية الاقتصادية** » يعتبرون أن الانتاج الزراعي بمعناه الواسع يشمل الانتاج الحيواني ، وهذا صحيح في واقع الأمر ، لأن الحقل الذي ينتج الحبوب والمراعي ، ينبت أيضا اللحوم بطريق غير مباشر ، اذ أن الحيوانات المقصودة للحم تتغذى مما ينتجه الحقل فيتحول غذاؤها الى لحم بنمو الحيوان وتوالده .

والقرآن الكريم يربط بين الزراعة والانتاج الحيواني حين يصرح بأن ما تخرجه الارض من النبات يقصد منه فيما يقصد أن يكون طعاما للانسان والحيوان ، وان الماء الذي تروى منه الارض لتنبت زرعها ، يسقى منه الانسان والحيوان كذلك ، فالله تعالى يقول :

« فلينظر الانسان الى طعامه : أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا ، متاعا لكم ولأنعامكم » .

« الذي جعل لكم الأرض مهدا ، وسلك لكم فيها سبلا ، وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى ، كلوا وارعوا أنعامكم ان في ذلك لآيات لأولى النهى » .

« أخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها ، متاعا لكم ولأنعامكم » .

« أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم ، أفلا يبصرون » .

ونجد في الآية الأخيرة من هذه الآيات تقديما في الذكر للانعام على أنفس الآدميين ، تأكيدا لحق الأنعام في الزرع ، كما نجد في الآية التي قبلها تسوية بين النوعين في اعتبار ما تنبته الأرض متاعا لهما ، اذ تقول « متاعا لكم ولأنعامكم » .

ويقول الله عز وجل في شأن الماء الذي أنزله :

« وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا » .

فالماء أيضا شركة بين الناس والأنعام والنبات .

والقرآن الكريم يشير الى ارتباط العوالم الثلاثة: عالم الانسان ، وعالم الحيوان ، وعالم النبات ، فيما يتصل بالحجم العددي لأفراد هذه العوالم ، وانها وجدت على قانون يجعلها متوازنة ، وذلك باستعماله لفظ «ذرأ» الذي يدل على الايجاد بالبث والكثرة والتوليد ، لا على مطلق الايجاد .

فالله تعالى يقول في شأن الناس :

« وهو الذي ذرأكم في الأرض » .

وفي شأن النبات :

« وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه » .

وفي شأن النبات والحيوان جميعا :

« وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا » .

وفي شأن الانسان والأنعام :

« جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، ومن الأنعام أزواجا ، يذرؤكم فيه » .

فالقانون الالهي العام الذي جعل سنة كونية ثابتة لتحقيق النسبة بين الانسان والنبات والحيوان ، هو قانون « **الذرء** » أي البث والتكثير والتوالد

والتضاعف ، فكلما كثر الناس ، كثر الزرع والنبات، وكثرت الأنعام .

وكما وصف الله تعالى فى لسان الشرع بوصف «البارئ» الدال على مجرد الخلق والابداع ، وصف بوصف «الذارئ» الدال على الايجاد بسنة التكثير والتضعيف والتوليد .

والقرآن الكريم كما يلفت الى الموارد والثروات الحيوانية فى آيات كثيرة أيضا ، وأسلوبه هنا هو أسلوبه هناك : لا يكتفى بأن يمر على الاشياء ، مرا عابرا ، ولكن يقف وقفات يربط فيها بين النعمة والمنعم ، ويهدى الناس الى الاساس الذى يجب أن يقيموا عليه صروح انتفاعهم واستغلالهم ، وهو أساس الايمان بالخالق الوهاب ، ومعرفة حقه وما أمر به فيما بين أيديهم من هبات .

والثروة الحيوانية التى أنعم الله بها على الناس أصناف :

ـ فمنها ما يراد للانتفاع بلحمه وشحمه ، ومنها ما يراد للبن الذى يدره ، ومنها ما يراد لأشعاره وأوباره ، ومنها ما يراد لجلوده أو ريشه ، ومنها ما يراد لغرائه أو أنيابه ، ومنها ما يراد للركوب والحمل والجر والحرث ... وهكذا .

وقد ذكر القرآن الكريم ، وبينت السنة ، هذه الاصناف ، وكان أسلوب القرآن فى عرضها أسلوبا رائعا من شأنه أن يهز النفوس ، ويثير اعجابها واقرارها بعظمة الله تعالى ، كما يثير انتباهها الى هذا اللون من الثروات .

يقول الله تعالى :

« والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ، ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ، وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس ، ان ربكم لرءوف رحيم ، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ، ويخلق ما لا تعلمون » .

وهذه الآيات تقرر فى مطلعها حقيقة يريد الله من الانسان أن يعلمها ويجرى فى حياته على مقتضى علمها ، وهى أن هذه الأنعام مخلوقة للانسان ، أى ان له أن يملكها ، وأن يستهلكها فى مصالحه ، وأن يسخرها كما يشاء ، وذلك قوله تعالى « والأنعام خلقها لكم » .

ثم تبين الآيات ما تقصد له هذه الأنعام ، فنراها تذكر : الدفء ، والمنافع ، والأكل ، والتجمل والزينة ، وحمل الأثقال ، وبلوغ الأهداف بعد قطع المسافات الطويلة .

وفى هذا استقصاء شامل لكل ما تراد له الأنعام، فاذا نظرنا الى قوله جل شأنه « فيها دفء» أمكننا أن نفهم منه هذا الدفء الذى يحصل لنا بأصواف الغنم ، أو أشعار البقر ، أو أوبار الابل ، كما قال تعالى فى آية أخرى :

« ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين » .

ولنا أن نفهم منه ذلك الدفء الذى يحدثه أكل اللحم ، فانه مكون من عناصر فيها كثير مما يبعث الحرارة والقوة والقدرة على مكافحة تيارات البرد ونزلاته .

وقوله تعالى «ومنافع» فيه اجمال تام لكثير مما يراد له مصدر الدفء ، وهو الجلود والاصواف والأشعار والأوبار. فليست منافعها أو منافع الحيوان الذى تصدر عنه قاصرة على التدفئة ، بل هناك عشرات من وجوه الانتفاع يعرفها أهل الصناعات ، ونشهدها فيما بين أيدينا من أمتعة مستخدمة ، وكلما تقدمت الصنعة ، وقوى الانسان بالعلم ، ازدادت معرفته بهذه الوجوه ، وظهرت له ألوان المنافع .

ولسنا بصدد تفسير الآيات ، ولكننا نريد فقط أن توجه الأنظار الى منافعها من أسرار ترشد الى الثروة الحيوانية ووجوه تصنيعها والانتفاع بها .

وما أحسن قوله تعالى بعد ذكر الخيل والبغال والحمير :

« ويخلق ما لا تعلمون » ، فان فيه اشارة الى أن الله تعالى سيعلم الانسان ما لم يكن يعلم ، وأنه اذا كانت هذه الحيوانات يراد بعضها للركوب والزينة والحمل والجر والحرث وغير ذلك ، فان زمان الآلة سيأتى على الناس ، وسيؤدى كثيرا من وظائف هذه الحيوانات ، وقد حدث ذلك فلم يلبث الناس حتى رأوا « الموتورات » تأخذ المكان الاول فى التصنيع ، والتحريك ، والحمل والجر ، والغوص ، والطيران، وكل ذلك مندرج تحت قوله تعالى « ويخلق ما لا تعلمون » ، ولو أن القرآن يوم كان ينزل زاد الناس افصاحا ، وصرح بهذا الذى أشار اليه ، فذكر الحديد الطائر ، أو الغائص ، أو المتحرك ، أو المحرك ، لشق ذلك على أذهان الناس يومئذ ، وما قبلوه ، ولو أنه اكتفى بذكر الأنعام والخيل والبغال والحمير ، ولم يشر الى ما سوف يكون من آلات ، لكان لنا أن نقول

فى عصرنا : أين هذه الحيوانات من الوسائل الآلية التى استحدثها العلم ، وازدهرت بها الصناعة ؛ فسبحان الحكيم العليم !

ويقول الله تعالى فى شأن نوع من أنواع الحيوان سخره للناس :

« وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » .

ولا شك أن عالم النحل وما يمتاز به من نظام ، وما يؤديه لبنى الانسان من خدمات وثمرات هو عالم جدير بالتأمل والاعتبار والاستفادة بما يرشد اليه من جوانب القدوة فى الدقة والمثابرة وقوة الصبر على المتابعة ، فالمناحل ما هى الا مصانع مدوية تمتلىء بألوان النشاط والسعى والعمل الدائب ، ولكل عامل فيها دوره ، وليس فيها موطن لكسلان أو متخلف أو متعطل .

وما زالت الأبحاث العلمية فى الشرق والغرب ، دائبة على محاولة استكشاف ما فى عسل النحل من شفاء للناس ، وقد عرفوا بعض الحقائق فى ذلك ، وسوف يعلمون اكثر منها « ولتعلمن نبأه بعد حين » .

ويقول الله تعالى واصفا لنوع من أنواع الانتاج الحيوانى وهو اللبن :

« وان لكم فى الأنعام لعبرة : نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين » .

ولا شك أن هذه الآية الكريمة تشير، بل تصرح، بوجوب الاعتبار عن طريق التحليل الكيماوى للبن، وكيف انه يخرج خالصا سائغا للشاربين من بين «الفرث» الذى هو الزبل فى الكرش ، والدم الاحمر المعروف !

ويقول الله تعالى ذاكرا الأنعام وما يستند اليها من صناعات :

« والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ، وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين » .

وان هذه الآية لتشمل كثيرا من وجوه النشاط الصناعى المتصلة بالجلود والأصواف والأوبار والأشعار ، فكم قامت على ذلك صناعات ، وأقيمت مصانع ، وعملت أيد ، وفكرت عقول ، وراجت أسواق ، ودرت أرزاق !

ويقول الله تعالى فى لفت الانظار الى اختلاف ألوان الدواب والأنعام ، كما تختلف الألوان فى الثمرات ، وفى الجبال ، وفى الناس :

« الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك » .

الى غير ذلك من آيات القرآن الكريم التى تلفت النظر الى ما وهبه الله الانسان من ثروات حيوانية سخرها له ، ومكنه منها ، وحثه على الانتفاع بها ، وهيأه لتحويل منتجاتها بالصناعة الى ملابس وأثاث وزينة ووقاية وبيوت مستخفة فى السفر والاقامة ، وغير ذلك من وجوه التصنيع والانتفاع .

* * *

وقد أباح الله أنواعا من الحيوان فأذن بأكلها والانتفاع بلحمها وشحمها وجلودها وسائر أعضائها ومستخرجاتها فيما وراء الأكل ، وحرم أنواعا أخرى فلم يبح أكلها لما فيها من مضرة علمها ، كتحريمه – على لسان رسوله – كل ذى مخلب من الطير ، وكل ذى ناب من السباع ، وكتحريمه فى القرآن الكريم أكل لحم الخنزير ، وأباح الانتفاع ببعض أشياء من تلك المحرمات فى غير الأكل ، كالفراء أى جلد النمر أو السبع أو نحوهما ، فانه داخل فى قوله صلى الله عليه وسلم « أيما اهاب – أى جلد – دبغ فقد طهر » ، وكذلك ورد تحليل الانتفاع بناب الفيل ، ومن الفقهاء من يجعل الفيل نفسه مباح الأكل .

واذن فالمدى واسع أمام الانسان، للانتفاع بسائر أنواع الحيوان ، وليس فى الشريعة ما يحول بين الانسان وهذا الانتفاع المباح .

وقد سفه الله أحلام قوم حرموا ما لم يحرمه الله من الأنعام افتراء عليه فقال :

« ومن الأنعام حمولة وفرشا ، كلوا مما رزقكم الله ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » .

« قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم» .

بين شوقي وابن زيدون

للدكتور احمد احمد بدوي

كان هذا المقال آخر مقال كتبه المرحوم الدكتور احمد احمد بدوي ، وكانه اراد - في لحظات الوداع الأخيرة - ان يلتفت بقلمه وبقلبه لكل الأشياء العزيزة عليه ، فهو أحد كتاب الرسالة القديمة .

واذا كان قد أحسن «وداع» القراء بهذا المقال ، فالرسالة تطلب له من الله المغفرة والمثوبة ، لقد كان آخر بيت استشهد به في المقال هو :

نسقى ثراهم ثناء كلما نثرت دموعنا نظمت منها مراثينا
ونحن نسقى ثراه « ثناء ! » .

كانت **اشبيلية** من البلاد التي زارها **شوقي** ، وهو في منفاه بالاندلس ، ولا تكاد تذكر هذه المدينة حتى يذكر ابن زيدون وزير المعتضد صاحبها .

وكان ابن زيدون شاعرا مبدعا ، وكاتبا قديرا ، فليس بغريب أن يصاحب شوقي ديوانه وهو يزور مدينته ، وان يقف متمهلا عند بعض قصائده يرددها في حب واعجاب ، وكان من بين ذلك تلك القصيدة التي نالت قدرا كبيرا من الشهرة ، وكان ابن زيدون قد أرسل بها الى حبيبته : ولادة بنت المستكفي عندما حيل بينه وبينها ، يصف فيها شوقه المبرح ويحن الى أيام سعادته الغابرة عندما كان يلتقي بحبيبته ، ويؤكد لها أنه باق على العهد لن يحول ، ويسألها أن تبقى على حبه ، مهما طال أمد الفراق .

وقد أغرم شوقي وهو في الاندلس بمعارضته بعض كبار الشعراء ، فعارض البحتري وابن زيدون والمتنبي ، ولقد كان يريد أن يطمئن الى مقدرته على مجاراة هؤلاء الفحول ، وانه لايقصر عن شأوهم ، فاختار من عيون أشعارهم قصائد نظم في أغراضها وعلى وزنها وقافيتها .

وقد شهر ابن زيدون بقصيدته النونية حتى ليقال في تاريخه : انه صاحب قصيدة :

أضحى التنائي بديلا من تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا

فليس بغريب أن يختارها شوقي في ميدان المجاراة ولا سيما أن معانيها في الشوق والحنين تتجاوب مع مايدور منهما في نفس شاعرنا المغترب ، ولعل شوقي رأى مشابهة بينه وبين ابن زيدون عندما رأى أنه مثله قد ظفر بسعادة في حياته الماضية ، ولكن الدهر لم يغفل عنه ، بل آلمه وآذاه ، وقد سجل شوقي تلك المشابهة ، مقتبسا شطر بيت لابن زيدون اذ يقول :

ولم تدع لليالي صافيا ، فدعت
بأن نغص ، فقال الدهر : آمينا

وتشترك القصيدتان في الحنين الى العهد القديم ، وذكريات السعادة التي ظفرا بها فيه ، فنجد ابن زيدون مرة يقول :

اذ جانب العيش طلق من تألفنا
ومربع اللهو صاف من تصافينا
واذ هصرنا فنون الوصل دانية
قطوفها ، فجنينا منه ما شينا

ليسق عهدكم عهد السرور فما
كنتم لأرواحنا الا رياحينا

ويسجل ذكريات السعادة مرة أخرى ، فيقول :

كأننا لم نبت والوصل ثالثنا
والسعد قد غض من اجفان واشينا
سران فى خاطر الظلماء يكتمنا
حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

ويحن الشاعر في تلك الابيات الى هذا العيش الطلق الذى كان يظفر فيه بالسعادة متى شاء ويرى حبيبته ريحانة لروحه يحس الى جانبها بصفاء العيش وجمال الحياة، ويستعيد فىألم ذكريات غالية لوصل الحبيب .

اما شوقي فيحن الى عهده الماضى قائلا :

سقيا لعهد كأكناف الربا رفة
أنى ذهبنا ، وأعطاف الصباليتا

اذا الزمان بنا غيناء زاهية
ترف أوقاتنا فيها رياحينا

الوصل صافية ،والعيش ناغية
والسعد حاشية ، والدهر ماشينا

ويحس شوقي بالعهد الماضي ناضرا كأزهار الربى لينا كريح الصبا ، مشرقا كالنبات الاخضر ، مزدهرا يملأ القلب بالسعادة ، كما تملأ الرياحين القلوب بالبهجة والاستبشار ، واذا كان ابن زيدون يجد حبيبته ريحانة قلبه فان شوقي يجد الحياة كلها في ذلك العهد ريحانا يرف وسعادة تحيط به ، واذا كان ابن زيدون يجنى منفنون الوصل مايشاء فان شوقى يجد الدهر طوع مايريد .

وتشترك القصيدتان فى وصف ما أحس به الشاعران بعد الفراق ، أما ابن زيدون فيقول :

بنتم وبنا ، فما ابتلت جوانحنا
شوقا اليكم ، ولا جفت مآقينا

نكاد حين تناجيكم ضمائرنا
يقضى علينا الأسى لولا تأسينا

حالت لفقدكم أيامنا ، فغدت
سودا ، وكانت بكم بيضا ليالينا

والشاعر هنا يصف شوقا جامحا ، وهوى مبرحا يكاد يقضى عليه ، عندما يناجى حبيبته فى ضميره ، أو يصورها له خياله .

اما شوقي فيبلغ قمة عالية ، وهو يصف أثر هذا الفراق ، فيخلع على الطائر ما يحس هو به من آلام الفراق ، ويقول له :

كل رمته النوى ، ريش الفراق لنا
سهما ، وسل عليك البين سكينا

اذا دعا الشوق لم نبرح بمنصدع
من الجناحين ، عى ، لا يلبينا

فان يك الجنس يابن الطلح فرقنا
ان المصائب يجمعن المصابينا

لم تال ماءك تحنانا ، ولا ظمأ
ولا ادكارا ، ولا شجوا افانينا

تجر من فنن ساقا الى فنن
وتسحب الذيل ترتاد المؤاسينا

اساة جسمك شتى حين تطلبهم
فمن لروحك بالنطس المداوينا

فهو فى حقيقة الامر يصف نفسه ، ويصف قلبه المتصدع ، ويصور تحنانه وظمأه ، وادكاره وافانين شجوه ، ويصور انتقاله من بلدالى آخر كأنما يلتمس بذلك دواء قلبه ، فلا يجد الى ذلك من سبيل .

وتشترك القصيدتان كذلك في ارسالهما التحية مع البرق والنسيم ، فنجد ابن زيدون يقول :

ياسارى البرق ، غاد القصر ، واسق به
من كان صرف الهوى والود يسقينا

واسأل هنالك : هل عنى تذكرنا
الفا تذكره أمسى يعنينا

ويا نسيم الصبا ، بلغ تحيتنا
من لو على القرب حيا كان يحيينا

وهو هنا يستخبر البرق عن حال من يحبه بعد هذا الفراق ، ويرسل اليه مع النسيم تحية يتمنى ان يردها الحبيب عن قرب .

اما شوقي فيطلب الى البرق ايضا أن يحمل الى مصر تحيته ، ولكنه يستشهد بالليل والنجم على حنينه الى مصر ، فتعود الى الشاعر صورة هذا الوطن بسماته اللاوردية وأرضه الزبرجدية ، وريفه المونق الجميل ، فيقول :

يا سارى البرق يرمى عن جوانحنا
بعد الهدوء ، ويهمى عن مآقينا

الليل يشهد لم تهتك دياجيه
على نيام ، ولم تهتف بسالينا

والنجم لم يرنا الا على قدم
قيام ليل الهوى للعهد راعينا

بالله ان جبت ظلماء القباب على
نجائب النور محدوا (بجيرينا)

حتى حوتك سماء النيل عالية
على الغيوث ، وان كان ميامينا

واحرزتك شفوف اللازورد على
وشى الزبرجد من أفواف وادينا

وحازك الريف أرجاء مؤرجة
ربت خمائل ، واهتزت بساتينا

فقف الى النيل ، واهتف في خمائله
وانزل كما نزل الطل الرياحينا

وآس ما بات يذوى من منازلنا
بالحادثات ، ويضوى من مغانينا

اما النسيم فيستطيبه شوقي قادما من مصر، يجد فيه برد الراحة ، ويشعر عنده بسعادة يقل لها أن يجزيه باعز ما يملك ، وهو الروح ، ثم يطلب الى هذا النسيم أن يحمل شوقه الى المخلصين من أهل وده ، فيقول :

هل من ذيولك مسكي نحمله
غرائب الشوق وشيا من أمالينا

الى الذين وجدنا ود غيرهم
دنيا ، وودهم الصافي لنا دينا

وتشترك القصيدتان ايضا في ان الشاعرين قد ناجيا من احبا ، فابن زيدون يقول :

يا روضة طالما أجنت لواحظنا
وردا جلاه الصبا غضا ونسرينا

ويا حياة تملينا بزهرتها
منى ضروبا ، ولذات أفانينا

ويا نعيما خطرنا من غضارته
في وشي نعمى سحبنا ذيله حينا

فهو يحس بحبيبته روضة وارفة الظلال ، متنوعة الأزهار، وحياة مزدهرة يجد عندها السعادة وتحقيق الأماني ، ويجدها النعيم السابغ .

اما شوقي فيغار على أحبائه ، حتى من ضميره عندما يناجيهم ، ومن قلبه ، وهو يصون حبهم ، ويقول :

يا من نغار عليهم من ضمائرنا
ومن مصون هواهم في تناجينا

ناب الحنين اليكم في خواطرنا
عن الدلال عليكم في أمانينا

وكان شوقي أبرع من ابن زيدون في حديثه عن الصبر ، فقد لجا شوقي اليه كعادته ، ولكن الصبر لم يلبه ، مع شدة جلد الشاعر قبل هذا الفراق :

جئنا الى الشوق تدعوه كعادتنا
في النائبات ، فلم ياخذ بايدينا

وما غلبنا على دمع ولا جلد
حتى اتتنا نواكم من صياصينا

أما ابن زيدون فينسى الصبر ، ويذكر الأسى لانه قرأ الحزن مكتوبا يوم الفراق ، واخذ الصبر تلقينا عن سواه :

لا غرو في ان ذكرنا الحزن حين نهت
عنه النهى ، وتركنا الصبر ناسينا
انا قرأنا الأسى يوم النوى سورا
مكتوبة ، وأخذنا الصبر تلقينا

واذا كان ابن زيدون يلح على حبيبته أن تحافظ على العهد ، ويؤكد لها أنه سيظل محافظا عليه ، ولن يحب غيرها ، ولو تعرض له بالحب بدر السماء ، وانه سيقنع منها بالطيف وان تذكره اذ يقول :

دومى على العهد ، ما دمنا ، محافظة
فالحر من دان انصافا ، كما دينا

فما استعضنا خليلا منك يحبسنا
ولا استفدنا حبيبا عنك يثنينا

ولو صبا نحونا من علو مطلعه
بدر الدجى لم يكن ، حاشاك يصبينا

ابكى وفاء ، وان لم تبذلى صلة
فالطيف يقنعنا ، والذكر يكفينا

فان شوقي كان مؤمنا ببر مصر له ، ووفاء من فيها لوده ، فلم يكن في حاجة الى أن يطلب المحافظة على الود ، والبقاء على الوفاء :

لكن مصر ، وان أغضت على مقة
عين من الخلد بالكافور تسقينا

بنا ، فلم نخل من روح يراوحنا
من بر مصر ، وريحان يغادينا

ومن الطبيعى أن تنفرد قصيدة ابن زيدون بوصف الحبيبة البعيدة ، وكأنما يستعيض بوصفها في الشعر عن رؤيتها في عالم الحقيقة ، واذا كنا قد رأيناه وهو يناجيها يتحدث عن احساسه نحوها ، فيشعر أنها حياته ونعيمه ، فانه قد أحب كذلك أن يصور بقلمه جمالها الجسمي ، فرأى كأنما أنشئت وحدها من المسك في حين أن الناس قد خلقوا من الطين ، وكأنما صيغت من الفضة الخالصة ، وتوجت بالذهب الناصع ، مترفة ، كأنما ارضعتها الشمس ، او اضاءت وجنتيها كواكب السماء فيقول :

ربيب ملك كأن الله أنشأه
مسكا ، وقدر انشاء الورى طينا

أو صاغه ورقا محضا ، وتوجه
من ناصع التبر ابداعا وتحسينا

اذا تأود آدته رفاهية
توم العقود ، وادمته البرى لينا

كانت له الشمس ظئرا في أكلته
بل ماتجلى لها الا احايينا

كأنما أثبتت في صحن وجنته
زهر الكواكب تعويذا وتزيينا

وتلك صفات تجعل الحبيبة في خيال القارىء بالغة حد الروعة والجمال ، اذ يجعلها من طينة غير طينة هذا البشر .

ولم يكن وصف الحبيبة من مجالات قصيدة شوقي ، وان كان من الممكن أن يكون وصف ابن زيدون لحبيبته مما أوحى الى شوقي بما جاء به من وصف ما امتاز به الوطن من جمال في سمائه وشمسه ، ونيله ، وواديه .

وحب ابن زيدون حب يستعان على نسيانه ، أو على التخفيف من حدته بالخمر والغناء ، وهنا يعلن الشاعر انهما لم يجديا فيه فتيلا ، بل كانا مثيرين لآلامه ، اذ يقول :

نأسى عليك ، اذا حثت مشعشعة
فينا الشمول ، وغنانا مغنينا

لاأكؤس الراح تبدى من شمائلنا
سيما ارتياح ، ولا الأوتار تلهينا

ولم ترد هذه الخواطر في قصيدة شوقي ، لأن

حب الوطن والشوق اليه مما لا يستعان على نسيانه بمثل تلك الوسائل ٠

واذا كانت نغمة الياس تسمع من قصيدة ابن زيدون عندما يقول :

كنا نرى الياس تسلينا عوارضه
وقد يئسنا فما للياس يغرينا

وفى قناعته بالطيف والذكر ـ فقصيدة شوقى لا تسمع فيها تلك النغمة اليائسة ٠



ولأن قصيدة شوقي تتحدث عن فراق وطنه ، ومعيشة الشاعر فى أرض غير ارضه ، وكانت ذكريات هذا الوطن تنهال على خياله ـ راينا فى القصيدة من هذه الذكريات تلك الطبيعة الساحرة التى امتاز بها هذا الوطن الجميل ، وذلك التاريخ المجيد لهذا الوطن ، وما لأهله من ثبات على العهد ، وقوة لم تضعف منها يد العدو المشتتة ، ويبلغ شوقى وهو يتحدث عن ذلك مبلغا لا يدانى ، وينقل الينا نقلا صادقا مايشعر به الشاعر من عزة واعتزاز بهذا الوطن وبنيه ، اذ يقول :

والنيل يقبل كالدنيا اذا احتفلت
لو كان فيها وفاء للمصافينا

له مبالغ ما فى الخلق من كرم
عهد الكرام ، وميثاق الوفيينا

لم يجر للدهر اعذار ولا عرس
الا بايامنا او فى ليالينا
نحن اليواقيت خاض النار جوهرنا
ولم يهن بيد التشتيت غالينا

لم تنزل الشمس ميزانا ولا صعدت
فى ملكها الضخم، عرشا مثل وادينا
وهذه الأرض من سهل ومن جبل
قبل (القياصر) دناها (فراعينا)
ولم يضع حجرا بان على حجر
فى الأرض الا على آثار بانينا

وطبيعى أن تنفرد قصيدة شوقي بهذا اللون من الوصف ٠

كما تنفرد كذلك بالحديث عن الاندلس التى حل فيها ، ويبدو فى هذا الحديث الحب والاجلال لتاريخ العرب فى تلك الديار ، والأسى لما انتهى اليه امرهم من ضياع ملك رفيع الذرا شامخ البنيان ، واستمع الى شوقى اذ يقول :

رسم وقفنا على رسم الوفاء له
نجيش بالدمع ، والاجلال يثنينا

لفتية لا تنال الأرض ادمعهم
ولا مفارقهم الا مصلينا
لو لم يسودوا بدين فيه منبهة
للناس كانت لهم اخلاقهم دينا
نسقى ثراهم ثناء ، كلما نثرت
دموعنا نظمت منها مراثينا

وهو هنا يسجل ماأحس به من الاجلال لدرجة انه يثنيه عن البكاء ، ولم لا يجل قوما ذوى عزة وأنفة ، لا يبكون ، ولا يخفضون رءوسهم الا للخالق وهم يصلون ، قد بلغوا من الخلق الرفيع مايصلح أن يسودوا به الناس ، لو لم يسودوا بدينهم ، ان دموع الشاعر فوق ثراهم قصيدة باكية من الرثاء ٠

وبعد فقد كانت القصيدتان معبرتين عن تجربتين صادقتين للشاعرين ، وقد استطاعا فى مهارة وقوة ان ينقلا الينا هاتين التجربتين ، فشعرنا بلوعة ابن زيدون وحسرته ، وتحرقه على عهد سعيد مضى ، وتلهفه على أن يظل العهد باقيا ، ولو فى أضعف مايمكن من البقاء ، كما شعرنا بألم شوقى لفراق وطنه ، وحبه لهذا الوطن وشوقه الى من فيه ، واعجابه بأهله ، وتقديسه لتاريخه ، وشوقه الى العهد الذى قضاه فيه ٠

ولم تكن معارضة شوقى لابن زيدون تحمل معنى التقليد ، وان كان قد استوحى بعض المعانى فانه قد مضى يعبر عن هذه المعانى على النحو الذى أحس به ، وبالطريقة التى تدل على شخصيته ٠

واذا كان الشاعران قد حملا البرق والنسيم تحيتهما فقد جريا من ذلك على المألوف عند العرب٠

وحظ القصيدتين من الأسلوب القوى الجذل متميز واضح ، وربما كان لشوقى من هذا الحظ اكبر مما لابن زيدون ٠

وفى معظم معانيهما يكاد الشاعران يبلغان درجة متكافئة فى تصوير المعنى ، ليظل خالدا فى سمع الزمان ٠

نظرات في الشعر العراقي المعاصر

شاعرية حافظ جميل

للدكتور بدوي طبانه

وقد أتاحت لي تلك الزيارة القريبة لبغداد التعرف القريب على طراز فريد في الادب العراقي المعاصر يتمثل في علم من أعلام الشعر العربي في البلد الشقيق .

وكان الفضل في ذلك اللقاء للاديب الشاعر حارث الراوي الذي أغرتني بزيارته دواعي الوفاء لذكرى أبيه المرحوم الاستاذ طه الراوي الذي كان ركنا من اركان الثقافتين العربية والاسلامية في العراق وطالما استمتعت بصحبته وأفدت من مكتبته العامرة في صوب الكرخ حينما جمعتنا ظروف العمل في دار المعلمين العالية في أثناء الزورة الاولى ، وكان الاستاذ طه الراوي اذذاك رئيسا لقسم اللغة العربية ، وكنت واحدا من أعضاء ذلك القسم ، وأغراني الحارث بانني سالقى هناك - في دار الراوي - شاعرا كبيرا لاينبغي لمثلي من الذين زاروا العراق وأولعوا بتتبع النهضة الادبية فيه أن يجهله .

وكان الحارث على حق في كل ما اطرى به شاعرية **حافظ جميل** وأسيت أشد الأسى لتاخر معرفتي بهذا الشاعر الكبير، ولم يذهب عني ذلك الأسى الاماقرأته للاستاذ خالد الدرة في لمحته عن حافظ التي كتبها في مقدمة ديوانه **نبض الوجدان**، وهو أن حافظا حين عاد الى العراق بعد دراسته في الجامعة الامريكية ببيروت صرفته مشاغل الوظيفة الجديدة عن مواصلة الشعر مدة من الزمن ، غير أن ظروفا سياسية اضطرته بعد ذلك الى اعتزال الوظائف الحكومية ، فبدأ اسمه يلمع في المحافل السياسية والاندية الادبية بحيث أصبح يلي اسمي الرصافي والزهاوي مباشرة ، حتى شاع الامل بانه سيكون من كبار شعراء عصره على الرغم من حداثة سنه ، لولا أن تعود الحكومة العراقية فتزجه من جديد في احدى الوظائف المالية ، فيعتزل حافظ الشعر اعتزالا تاما قرابة اثنتي عشر سنة .

وهكذا قدر لحافظ أن يختفي اسمه في عالم الشعر ، وينقطع هو عن مواصلة النظم ، حتى نشأ جيل جديد لم يسمع حتى باسم ذلك الشاعر الموهوب الذي أكره ما يكره في دنياه أن يبث الدعاية لنفسه ولشعره .

ذلك ما وجدت فيه شيئا من العزاء عن تأخر معرفتي ثم تأخر دراستي لحافظ جميل الشاعر المبدع الكبير .

وقد نشر حافظ جميل ديوانه الانيق الذي تزيد صفحاته على ثلثمائة صفحة وتبلغ قصائده سبعا وأربعين قصيدة سنة ١٩٥٧ وآخر شعر نشره في ذلك الديوان (نبض الوجدان) نظمه الشاعر سنة ١٩٥٦ ومعنى ذلك أن شعره في الاعوام الثمانية التي تلت صدور هذا الديوان لم ينشر مجموعا في ديوان، وان كان كثير منه قد نشر في بعض الصفحات الادبية التي تتخطف ما تجود به قريحة الشاعر المطبوع حينا بعد حين ، وآخر ماقرأت له احدى قصائده الخمرية

التي يناجي فيها كأسه مناجاة لم نقرأ مثلها لشعراء الخمر المختصين المبدعين ، وأولها :

دومي دوام العمر يا كأسي
يا كوثري العذب وفردوسي
لولاك غام الكون في ناظري
وعشت في داج من اليأس
وظل صدري جدثا حالكا
لم ير لولاك سنى الشمس

وقد نشرت هذه الخمرية جريدة (البلد) البغدادية في ١٩٦٤/٣/١٥ وقالت في تقديمها ان الشاعر الكبير خصها بها لتكون « عينة » لقصائد ديوانه المنتظر « **اللهب المقفى** » .

ومعنى ذلك أن أكثر ما يحتويه الديوان المنتظر هو قصائد حافظ جميل الخمرية التي ستحيي في عالم الشعر العربي الحديث ذكرى المدرسة النواسية .

والخمريات فن احتل منزلته بين فنون الشعر العربي في سائر العصور ، وفي بعض هذه الخمريات أصالة وفي كثير منها تقليد ، ولكن خمريات حافظ كلها تعبير رائع عن تجارب صادقة ، ولعل اغراق الشاعر في مثل تلك التجارب أو اغراقه في وصفها هو الذي دعا الاستاذ خالد الدره الى القول بان حافظا «لايزال يولي عنايته الخاصة لأحاسيسه الذاتية » وذلك لان الوظيفة الحكومية لاتسمح له باكثر من ذلك رغم وطنيته الجامحة واحساسه المناوىء للاستعمار فان الاحاسيس الذاتية في مثل ظروفنا العربية الراهنة هذه لاتجعل من صاحبها عظيما في نظر أبناء شعبه الذين يتطلعون الى الحرية والانطلاق ، ويريدون من الشاعر أن يتجه كليا الى هذا الهدف بدلا من الضرب على وتر الحس الذاتي أو الوجداني المحض » .

وقد يفهم من يقرأ مثل هذا الكلام أن شاعرنا لايعيش الا لنفسه ، ولا يحيا الا في برجه العاجي ، ولا يعبر الا عن أهوائه ونزعاته بعيدا عن قومه لايبلغ شكاتهم ، ولا يعنيه شيء من متاعبهم وآلامهم .

واذا لم يكن حافظ شاعر المحافل والاندية ، ولا من الشعراء الذين يجتذبون التصفيق من أكف الجماهير ، أو الذين تستهويهم الشهرة أو يهزهم الهتاف فليس معنى ذلك أن الشاعر قد نأى بمشاعره عن قومه أو أنه لايحس ما يحسون في عالم السياسة أو عالم الاجتماع ، فاننا نجد في كثير من شعره آيات المشاركة والتفاعل مع الاحداث ، وان كان لا يعبر عنها مجردة وانما يمزجها بأحاسيسه المضطرمة وانفعالاته وعواطفه بعيدا عن الصخب والضجيج ، شأنه في ذلك شأن الصياد الذي لايحلو له الا ان ينضج صيده على تنوره وفي حر ناره التي جمع حطبها بيده وأوقدها بنفسه .

وعلى هذا فان شعر حافظ جميل يفيض بالاشادة بالأوطان والهيام بحبها ، وان لم يجرد لهذا الغرض قصائد كاملة في ديوانه الضخم ، وانما هو تيار جياش بكل عواطف النفس وما يعتلج فيها من مشاعر وأحاسيس ، تبدو فيها بوضوح آيات الوطنية متفاعلة مع غيرها مما أثر أو أثار . ومن أمثلة ذلك قصيدته التي جعل عنوانا لها كلمة (شاعر) ولم يعن حافظ جميل بهذا الشاعر الا نفسه ، وهي من أرق شعره واغزره بالمعاني وأحفله بالعواطف ، وقد بدا فيها أثر الحنين العجيب والهوى المؤرق بالوطن الذي لايبغي عنه حولا على الرغم مما يكابد في المقام من آلام ، على الرغم من حديث نفسه بالهجرة والرحيل فرارا من وقوع عينه على مالاترضى ، فيقول عن نفسه :

ان سار خلف هواه أنبه
وجدانه وتهاه محتده
أو رام نزحا رده وطن
فيه شبيبته ومولده
وطن تغلغل في عقيدته
يدري به صنما ويعبده
عش سيد الاوطان يا وطنا
في ذروة العلياء سؤدده
عش حاميا للحق يا وطنا
لا شيء غير الحق ينشده
عش مرتعا للخير يا وطنا
بنديه أزهى العيش أرغده

وفي القصيدة نفسها ثورة على الحكام ونقمة على فسادهم وطغيانهم ، ووعيد لهم بسوء العاقبة اذا ظلوا سادرين في بغيهم وضلالهم :

يا مالك الدنيا وسيدها
أأباح أكل العبد سيده

ومطاول بالمجد ليس له
من قدره شرف يمجده

أستغفر الانصاف ان له
سوداء ناصية تسوده

باغ ومن يدرى لعل له
بين البقايا من يؤيده
قاس ومن يدرى لعل يدا
اقسى اذا ما رق تجلده
دستوره وطن يمزقه
وشعاره شعب يقيده

هذا شيء قليل من وطنية حافظ جميل وغيرته على أمته ووطنه فى قصيدة واحدة ، وفى قصيدة أخرى ينحى على أولئك الحكام باللوم والتقريع على ما نهبوا من دماء الشعب ، وتقتيرهم على هذا الشعب الذى أكلوا رزقه واستنزفوا دمه .

هل توج الدهر بالحسنى اباطرة
صاغوا لهم من دموع الشعب تيجانا

أزرى بقارون أنداد اذا ندبوا
خروا على شحهم صما وعميانا

تناهبوا رزق هذا الشعب وابتدعوا
للجوع نعتا وللحرمان عنوانا

قل:كل من عجموا البلوى سواسية
فاستحدثوا من ضروب النعت الوانا

أما الثورة على الثراء الفاحش وعلى الفقر المدقع اللذين جعلا الناس فئتين فئة تباهى بكنوزها .. وتفاخر بعبثها وفسادها ، وفئة أخرى حطمها الفقر وآدها الحرمان ، فان حافظا يعد بشعره فيها فى طليعة الشعراء المعاصرين والقدامى على السواء .. وليست طبقته فى هذا الشعر دون طبقة شاعر النيل حافظ ابراهيم،ولا طبقة شاعر العراق معروف الرصافى بل هو فى بعض قصائده يفوقهما فى متانة الشعر وعذوبته ، وفى قدرته على رسم الصور المعبرة ، وفى حلاوة قوافيه ، وفى طول نفسه ، فقصيدته التى أسماها «أصنام المال» يعبر فيها فى أربعين بيتا من الشعر الممتاز عن تلك الثورة ، ومنها قوله :

هل عاهد الطغمة المثرون انفسهم
الا يجودوا بمعروف وان هانا ؟

وهل قضى العرف ان تطمو خزائنهم
سحتا ويهلك هذا الشعب حرمانا ؟

تملئوا من حرام الرزق وادخروا
مع القناطير لوعات واحزانا

ومن عجائب صنع الله مملكة
تغور فى جيبهم ارضا وسكانا

وفى هذه القصيدة يتحدث الشاعر عن « الدينار» الذى اتخذته الجماهير معبودا تنحنى له رءوسها .. وتذل لهيبته كبرياؤها ، وأصبح مقياس الشرف ، ومعيار المفاضلة بين الناس ، وهو قرطاس يطبعونه بأيديهم ويتداولونه بينهم ، وهو يفرقهم ويقسمهم طبقات بحسب الحصول عليه والحرمان منه ، وبحسب وفرته فى أيدى البعض وندرته فى أيدى الآخرين ، وهو حديث مر يقول فيه :

حم الرجال جنونا فى تفاضلهم
فما وجدنا سوى (الدينار) ميزانا

كفى بمومس قرطاس نداولها
ان تجعل الناس أسيادا وعبدانا

ياما حنينا الى (الدينار) جبهتنا
ياما رفعنا الى (الدينار) شكوانا

ياما عرضنا على (الدينار) أزمتنا
ياما اخذنا من (الدينار) فتوانا

ياما شرينا به جاها ومنزلة
ياما دفعنا له الاخلاق أثمانا

ياما خلونا به فى سر عزلتنا
نشكو له أمر دنيانا واخرانا

حتى لصار نشيدا فى كنائسنا
حتى لصار دعاء فى مصلانا

لم يبق فى الكفر الا ان نقول له
قم يا مسيح وكفر عن خطايانا

ولعلنا لم نظفر فى الشعر العربى بكثير من أمثال

رائعة حافظ جميل التصويرية التي جعل عنوانها «ثرى عابث» وفيها وصف مستفيض لحياة تلك الطبقة من الناس التي استأثرت بالاموال ، ولم تجد سبيلا لانفاقها الا فى متابعة الشيطان ، واشباع شهوات النفس بكل متعة حلت أو حرمت ، وتحصيل اللذائذ وصنوف المتاع التي لاتنقاد الا لاصحاب الكنوز التي لايهددها اسراف .

***

وتدور هذه القصيدة حول فقير مدقع ارادت له الاقدار أن يكون من ذوي الثراء ، فاقتنى القصور الفاخرة وعمرها بالاماء والجواري ومجالس القصف والعبث ، وأخذ يباهي بني جلدته بما حوى قصره من غالي الاثاث والرياش ، وما حوت حديقته من الاشجار الباسقة والغصون المورقة والثمار اليانعة والارض الموشاة بالنبت والازاهير ، والاركان التي اعدها للهو والفجور والطرب والغناء . وقد طال نفس الشاعر في تلك القصيدة قصور فيها حياة ذلك الصنف من الناس الذي لاهم له الا ارضاء الشهوات واقتناص المتع والملذات في مائة بيت واثنين من الشعر الرقيق الرشيق الذي يلائم غرضه ، وأخذ حافظ يتحدث بلسان ذلك الثرى العابث :

حسبي من الدنيا نعيما بسطتي وثرائيه
لاالجاه يعوزني ولا ترف الحياة الراقيه
سكناي في قصر ينيف على القصور العاليه
ابراجه تياهة ، وقبابه متسامية
وصحانه مد الفضاء وسيعة متناهيه
تثبت في ارجائه العشرات من خداميه

ويصف حديقة داره وخمائلها وأزاهيرها ، وما أعد في جنباتها من أسباب اللهو والقصف :

وحديقتي منسوقة ممتدة مترامية
اني عطفت بها مررت على خمائل حاليه
وقطفت اندى زهرة وحسوت اجود صافيه
لم يخل من متع الهوى طرف بها او ناحيه
في كل مخدع ايكة وتر يرن وشاديه
وبكل ظل جدول من خمرة او ساقيه
تهفو على جنباتها أكمام ورد ناديه
مطرت بصوب البابلية لا بصوب الغاديه

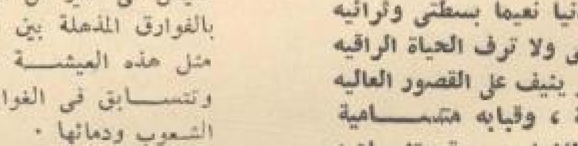
ثم يصف سيارته التي يمضي بها نشوان من العجب والخيلاء ، وعلى يمينه ويساره الجواري والقيان ولو شاء ، كانت الخلوة الحمراء أو كان العزف والطرب ن نداماه :

احتثها طول النهار متابعا غزواتيه
وانيخها عند الظلام الى جوار مناخيه
حيث الظباء السارحات العابثات اللاهيه
حيث الخصور مزنرات والخواصر عاريه
حيث الخدود مشعشعات والمراشف داميه
حيث القدود مرنحات والسرائر صاحيه
حيث التناجي بالحواجب والعيون الساهيه

والقصيدة كلها من هذا الطراز المتأنق في الوصف المستقصي للمعاني ، المطرب في وزنه وقافيته ، وليس لنا أن نسأل الشاعر سؤال المتردد أو المرتاب في صدق التجربة وصدق دلالتها على الشاعر ، فانها صورة حية ناطقة لنماذج من البشر رآها الشاعر في بيئته ، وكثيرا مارأيناها في بيئاتنا ولا تزال تعيش في كثير من البيئات المتخلفة التي منيت بالفوارق المذهلة بين الطبقات ، وعاش أفراد منها مثل هذه العيشة المترفة المنحلة تنتهب الملذات وتتسابق في الغواية والفجور كما انتهبت عرق الشعوب ودماءها .

***

واذا كان حافظ ابراهيم ومعروف الرصافي قد أجاد كلاهما في وصف حياة البؤس والحرمان وآلام الفقراء والمعذبين فان حافظ جميل قد أجاد كل الاجادة في أمثال هذا الشعر الذي عبر فيه عن حياة الغنى والعبث والاسراف والمجون ووصفها مثل ذلك الوصف المستقصي الممتع الذي يدل على النظر الفاحص والتأمل العميق ويفيض بالتهكم المر والنقد الساخر .



من روائع الشعر الاسلامي

جلال الدين مولوي

للدكتور محمد غنيمي هلال

ويقال له أيضا « **جلال الدين الرومي** » ولد في بلخ وتركها في طفولته ابان حملة المغول ، ليذهب مع والده الى آسيا الصغرى، واستقر بها مع أسرته، وتوفى بها عام ٦٧٢ هـ (١٢٧٣ م) ويعد اعظم صوفية الفرس على الرغم من أنه بمثابة الامتداد لعطار الذى تحدثنا عنه فى هذه المجلة من قبل ٠

وقد تتلمذ أولا على والده ثم على تلميذ والده سيد برهان الدين ، وقد رحل زمنا الى الشام ليحصل العلوم العربية والفلسفية ، عاد بعدها الى « قونية » ليشتغل بكسب العلوم والمعارف الدينية حتى تعرف على أحد الصوفية الكبار « **شمس الدين تبريزى** » فترك تحصيل العلوم الى الاشتغال بالتصوف واسس فيه طريقة المولويين الذين ينشدون الوجد فى حلقات الذكر ، وعلى سماع الانغام ، ومن ثم عظم شان هذه الانغام في الاثارة الروحية عند المتصوفين ، وعندهم أن هذه الانغام أقرب الى الروحانيات فجمالها تجريدى ، وهو لذلك أطوع الى التعالى بالروح ، وقد ترك « **جلال الدين** » آثارا أدبية، صار بها سيد الصوفية الفرس من الجانب النظرى والعملى معا فى عالم الصوفية ٠

واشهر هذه الآثار ديوانه المسمى « **مثنوى** » فى حوالى ستة وعشرين ألف بيت من بحر الرمل ، بها تصوير كثير من المسائل الاخلاقية والدينية ، والصوفية النظرية ، وبها وصل الشعر الصوفى الى قمته لدى الفرس ، وبالرغم من سيره على طريقة العطار فانه أنضر منه أسلوبا ٠ وله غير المثنوى ديوان غزل باسم « **شمس الدين تبريزى** » اذ انه ألفه بتأثيره ، وهو غزل صوفى تختلط فيه خواطر الحب بالوجد الالهى المشبوب ، المعشوق فيه الذات القدسية ، ويعزى اليه كذلك مجموعة من « الرباعيات » ٠

ولا بد فى قراءته من معرفة مبادىء عامة صوفية هى مفاتيح خواطر فلسفية منها أن الجنون عند الصوفية معناه الوجد الالهى الذى يصل به المحب الى درجة النشوة الالهية ، وهى أعلى درجات المدح لديهم ، ومنها أن الخمر فى كلام الصوفية معناها النشوة الالهية فى حياة التأمل الروحى ، وقد أخذ الصوفية مفهوم هذين الاصطلاحين عن « **افلوطين** » ومدرسته ، التى تأثرت بدورها بافلاطون ، ومنها أن الجمال فى الخلق طريق للهداية الى الجمال الحقيقى لأن ذلك الجمال صورى شفاف ، معناه روحى لدى ذوى البصائر ، وليس سوى وسيلة للهداية ، وانما ينطمس معناه على من يستغرق فى المادة ، فيصبح الجمال الظاهرى لدى باصرته كثيفا لا يشف عن شىء ، لأن بصيرته قد ران عليها صدأ المادة فأغراه التكالب عليها ٠

ومن ثم يجب أن نفهم ما يتردد من ذكر الخمر والخمارة ، وذكر الجمال ، ثم ذكر ما يتصل بهذين الأمرين من اوصاف تبدو مادية ، وهى فى الحقيقة رموز يضل المرء فى فهمها اذا وقف عند ظاهرها ، فما أشبهه عندهم بمن يحاول القراءة وهو لا يعرف حروف اللغة ، أو بمن يقرأ لغة لا يفهم معنى كلماتها ، فلغة الجمال روحية ، لا ينفذ اليها سوى طاهر الروح ، كذلك لغة الادب الصوفى مشعة تستعصى على من لا يعرف مفاتيحها الفلسفية ، ونقدم فى ضوء هذا التمهيد الموجز بعض نماذج نترجمها من أشعاره ، لعل القارىء يتذوقها بعد هذا

التمهيد ، ولا أقصد الى غير التذوق الفنى فى التصوير ، وقوة دلالته على الاشعاع الروحى ، على أن يحتفظ القارىء بعد ذلك باستقلاله لأن هذا الادب يجب أن يقوم فى قرائن عصره فيما يخص مضمونه ، كما أشرت ، وكما شرحت ، أكثر من مرة ، فى حديثى بهذه المجلة (الرسالة) :

١ ـ التعصب :

هذا العالم ـ اى بنى ـ مثل الشجرة
ونحن عليها مثل الثمرات نصف الناضجة
فغير الناضجة منها يشتد تعلقها بغصنها
لأنها ليست طيبة ولا تروق لأهل القصور
وأما حين تنضج وتصير أهلا لمذاق حلو الشفاه
فان تمسكها بأصلها من الغصن يهن على الأثر
فشدة الاستمساك والتعصب سذاجة
وما دمت جنينا فلا شأن لك سوى شرب الدم

٢ ـ ضيق النظرة :

جلس فى سفينة نحوى من النحاة
وتوجه مغترا بذات نفسه شطر الملاح
وقال : أتعرف من النحو شيئا ؟ فأجاب الملاح :
كلا
فقال النحوى : لقد ضاع منك نصف عمرك !!
فانفطر قلب الملاح حزنا ، ولكنه
في تلك اللحظة قد صمت فلم يحر جوابا
والقت العاصفة بالسفينة فى لجة الموت
فتوجه الملاح شطر ذلك النحوى الجليل :
خبرنى : أتدرى من السباحة شيئا ؟
فأجابه : كلا لا تنشد فى سباحا
فقال الملاح : لقد ضاع كل عمرك أيها النحوى
اذ السفينة بسبيل أن تغرق فى اللجة
الذى يلزمك هنا هو المحو (الفناء فى الله) لا النحو
واذن فاعبر الماء ولا خطر عليك
فماء المحيط يعلو مفرق من يموت به
وان بقى المرء حيا فيه فكيف له بالخلاص من مياهه؟
اذا تجردت من صفات البشر (بالفناء فى الله)
فان بحر الأسرار سيحملك على مفرقه

٣ ـ التعلل باسم الجبر :

كل من يظل من الكسل بلا شكر وصبر
يرى مع ذلك أن الجبر هو الذى قيد خطاه
وكل من يتعلل بالجبر انما يزج بنفسه فى العناد
ويظل كذلك حتى يسلمه للقبر
والجبر ما هو ؟ أن تضمد عضوا كسيرا
او أن تصل بضمادتك عرقا قطيعا
فاذا كنت فى هذا الطريق غير كسير القدم
فبمن تسخر حين تلفه بالعصائب ؟
وأما من جهدت قدمه فى طريق الكفاح
فان البراق قد أتاه فاعتلاه
قال لص لحاكم : أيها الأمير
ان ما أتيته انما كان بحكم الاله
فأجابه الحاكم : وكذلك ما أفعله أنا بك ٠
انما هو حكم الحق يا من أنت ذو عينين تبصران

٤ ـ المرآة :

يامن تشاهد الظلم سائدا بين الناس
ان محنتك من محنتهم يا هذا
ففيهم يتراءى وجودك أنت
من نفاق وظلم وعربدة
ان ذلك الانسان هو أنت وذلك الأذى انما تمارسه على نفسك
وحق أن تلعن فى تلك الساعة نفسك
الا ترى عيانا هذا الشر من ذات نفسك
والا فأنت اذن عدو نفسك
فالمؤمنون مرآة بعضهم لبعض
كما ورد فى الخبر المروى عن النبى

٥ ـ مدينة العشق :

قال معشوق لعاشق : أيها الفتى
لقد رأيت فى غربتك مدنا كثيرة
فخبرنى : أية مدينة من هذه أطيب ؟
فأجاب : تلك المدينة التى فيها من اختطف قلبى
وانه لأطيب من الدارين ذلك المكان
حيث أنال فيه سؤلى ـ اى الهى ـ بحضرتك

٦ ـ الطائر القدسى أو الروح :

ظللت أياما أفكر نهارا وطول الليل
لماذا أظل فى غفلة عن شئون قلبى ؟
من أين أتيت ؟ ولأى جدوى كان مقدمى ؟
والى أين أذهب آخر الأمر ؟ اذ لا يتراءى وطنى هناك
وبقيت فى عجب بالغ أن لماذا خلقت
أو ماذا كان مراده من صنعى ؟
أنا على يقين من أن الروح من العالم العلوى
فاما أن أشد رحلى من جديد الى هناك حيث قدمت
واما أن تحملنى الروح الى حان المليك
حيث يقيم ساقى ، وثم سأفض ختم الدنان
فطائر ملكوتى ليس من عالم الأرض
وانما صنع له من بدنى قفصا لاقامة موقوتة
فيا لطيب ذلك اليوم الذى أطير فيه حتى باب الحبيب
ناشدا أن أخفق بجناحى على عتبات ذلك الحى
فمن ذلك الذى صاغ فى مسمعى تلك الأصوات
وأية كلمات وصفها على لسانى
ومن هو الذى ملأ باصرتى التى بها أرى
وأية روح تلك التى أنا لها لباس ؟
اذ طالما لا يبدو لى منزل ثم ولا طريق
فلن أستريح لحظة ولن أقر بالا آونة
فأذقنى خمرة الوصال فى هذا السجن الدنيوى
حتى أحطم بابه فى عربدة السكر ، شأن السكارى
أنا لم آت هنا اختيارا ، فلأعد هناك عن اختيار
وليحملنى حتى موطنى الأخروى من قدم بى هنا
لا تظن أنى أقول هذا الشعر اختيارا
فطالما أنا على وعى ويقظة لا أنبس لحظة

٧ ـ سكران :

أنا ثمل وأنت مجنون فمن ذا الذى يقودنا الى المنزل ؟
لقد نصحتك مائة مرة أن تقل من الشرب كأسين أو ثلاثة
فى المدينة لا أرى شخصا واحدا صاحيا من السكر
كل امرىء أسوأ من الآخر ولهان ومجنون !
أى حبيبى ! هلم بنا الى الخربات حتى ترى لذة الروح
وكيف يطيب للروح أن تكون بدون صحبة الحبيب
فى كل ركن شخص ثمل يده فى يد نجيه
والرأس يدور ثملا من يدى الساقى بالكأس الالهية
أيها الخفيف الروح ! اعزف على العود . ءأنت أوغل فى السكر أم أنا ؟
فيا أيها العاقل حين تثمل أنت فسحرى أسطورة !
أنت وقف على الخربات لا شأن لك سوى الخمر
فلا تدع حبة من عقل لدى القادمين الصاحين
لقد خرجت من المنزل فاسرع الى بالسكر
وكل نظرة منه تخبىء وراءها مائة بستان ومنزل
مثل سفينة ضلت المرسى وجنحت للغرق
وعلى الأسى بها آلاف العقلاء والحكماء صرعى
قلت من أين أنت أيتها النفس فهزأت قائلة :
نصفى من تركستان ونصفى من فرغانة
شطرى ماء وطين وشطرى روح وقلب
شطرى من شط المحيط والباقى كالجوهرة الفريدة
فقلت لها : كونى لى رفيقا فأنا من أهلك
فأجابت : لم أعد أعرف أنا قريبا لى من غريب
لقد فقدت رأسى وتاج رأسى فى منزل الساقى
ولى صدر به كلم ــ أأشرحها أم أكتمها ؟

كيف نقرأ الشعر وتربط شكله بمضمونه

للدكتور محمد النويهي

نواصل دراستنا فى **الشعر العربى القديم** ، متبعين طريقتنا التى رأى القارىء امثلة عليها فى مقالاتنا السابقة . ونحن ندرك ان هذه الطريقة لا تزال غريبة على كثيرين من القراء ، ولكننا نرجو ان يكون فى امثلتنا القادمة ما يزيدهم الفة بها ، ومقدرة على متابعتها ، فاننا نعتقد مخلصين انها لا تخلو من فائدة فى ارشاد القارىء الحديث الى روائع تراثنا الشعرى ، وتدريبه على قراءته قراءة صحيحة ، والاستماع اليه استماعا دقيقا ، واستجلاء متعته العظيمة وقيمته الجليلة ، والاهتزاز لحيويته الباقية التي لا يبليها كر الدهور ، والاهتداء الى أهميته الانسانية العامة التى لاتحدها بيئة محلية معينة .

وطريقتنا هذه ، كما لاحظ القارىء بلا شك ، قائمة على الربط الوثيق بين مضمون الشعر وشكله. ذلك اننا نعتقد ان افدح خطأ يرتكب فى دراسة الشعر هو ان يفصل بين مضمونه وشكله ، أو بين ما سماه القدامى معناه ولفظه ، وهذا ما فعله معظم نقادنا القدامى ، وما لا يزال يفعله كثيرون من نقادنا المحدثين .

هذا الفصل الخاطىء لا يرتكبه الذين يفضلون اللفظ على المعنى وحدهم ، فلا يرون فى الشعر الا الألفاظ الجزلة الفخمة ، أو الحلوة الرقيقة . بل يقع فيه أيضا من يفضلون المعنى على اللفظ ، ويظنون انهم بهذا التفضيل يثبتون رجاحة عقلهم وامتياز ذوقهم ، ويدللون على انهم ليسوا ممن يأخذهم بريق الألفاظ وبهرجها السطحى .

فالعلاقة بين المعنى واللفظ فى الشعر ، كالعلاقة بين المضمون والشكل فى الفن جميعه ، علاقة جوهرية جدرية ، لا علاقة عرضية سطحية . بين المضمون الشعرى والشكل الشعرى ارتباط عضوى تام بحيث لا تتحقق الحياة لأحدهما بدون الأخر . فهما يتكونان معا ، ويتشكلان معا ، ويولدان .. أى يبرزان الى عالم الوجود معا . وليست عملية الخلق الشعرى التى يقوم بها الشاعر الا محاولة لتحقيق المضمون بالبحث عن الشكل الذى يحققه ، ولولا اللفظ لما ولد معناه ، ولولا المعنى لما كانت هناك حاجة للفظ . ومنذ اللحظة الأولى التى يبدآن فيها فى التكون يؤثر كل منهما فى الآخر علوا وهبوطا ، وطولا وقصرا ، واهتزازا وسكونا ، بحيث يؤدى اقل تغير يطرأ على احدهما الى تغير جوهرى فى قرينه وتوامه .

حقا اننا لغرض الدراسة ربما نميز ـ تمييزا مؤقتا ـ بين الجانبين ، فننظر فى المضمون ونحاول ان نزيده تفهما ، وننظر فى الشكل ونحاول ان نرهف الاستماع اليه وتحليل عناصره وكمه ونبره. ولكن ان تركنا دراستنا هكذا ظل عملنا النقدى عملا ناقصا . انما يتم عملنا النقدى حين نعود بعد هذا التمييز الموقت فنصل بين الجانبين ، ونرى مدى ارتباط ترابطهما وتبادلهما التأثير .

من هنا نستطيع ان نضع تعريفا لمدى جودة الشعر ، فنقول : ان الشعر الجيد هو ما ارتبط مضمونه وشكله . هذا هو المثل المبتغى ، وتزداد درجة الشعر علوا كلما اقترب من تحقيقه . فكلما زاد هذا الترابط واقترب من درجة الاتحاد العضوى التام علت منزلة هذا الشعر فى مراتب الفن العظيم ، وكلما قل هذا الترابط هبطت درجته ، حتى اذا

وجدنا نظما ينفصم معناه ولفظه ، أبينا ان نسميه شعرا ، والحقناه بالنظم الكاذب المفتعل الذي يزيد طنينه الضخم على قيمة معناه ، أو الغث الردىء الذي يقصر لفظه الكسيح عن معناه الطموح ·

لسنا نعنى بهذا الترابط مجرد الملاحظات السطحية التى اكتفى بها معظم نقادنا القدامى ، حين قالوا ان المعنى الشريف الفخم يحتاج الى لفظ قوى جزل ، وان المعنى الرقيق السهل يحتاج الى لفظ رشيق عذب · بل نحن نعنى اشياء ادق من هذا بكثير ، وادخل الى بواطن الافكار وظلال العواطف ، والى دقائق الحروف والحركات والمقاطع والكلمات ، بما لها من جرس وايقاع ونبر ، مما رأى القارىء عليه امثلة فيما تقدم من مقالاتنا ، وما سنضرب عليه امثلة أخرى ، بتوفيق الله ·

فى استماعنا الى الشعر اذن ، لانستطيع ان تتذوق جانبه الشكلي من ايقاع ونغم تذوقا صادقا يحقق المتعة الفنية الرفيعة ، الا اذا ربطناه بجانبه المضمونى ، من فكرة يحملها الشاعر الى سامعه ، ومن انفعال يحاول ان ينقله اليه وان يعديه بعدواه· وهذه حقيقة تصدق على جميع الأشعار ، ولكنها فى اعتقادنا الشخصى اشد انطباقا على شعرنا القديم فى قرونه الأولى ، حين كان الشاعر يخلق النتاجه الشعرى بالنطق والتفوه المسموع ، منه على الأشعار التى ينتجها اصحابها كتابة صامتة بقلم أخرس على ورق جماد ·

فلنذكر دائما ونحن نقرأ شعرنا القديم ، ان الشاعر كان ينتجه بأن يلوكه فى فمه ، ويدير حروفه وحركاته ، ومقاطعه وكلماته ، فى جميع اعضاء جهاز النطق ، منذ ان تتكون الأصوات فى اقصى الحنجرة ، الى ان تخرج من الشفتين ، وواضح تمام الوضوح ان هذه الأعضاء الحية ، المكونة من لحم ودم وعظم واوتار وغضاريف وعضلات ، كانت تهتز اهتزازا دقيقا ينطبق على دقائق الانفعال الذى كان يعانيه الشاعر فى اثناء تحقيقه لفكرته وابرازه لعاطفته ، لذلك كان مضمونه يخرج منصهرا بحرارة هذا الأتون الفكرى العاطفى الحى ، ان كان شاعرا صادق الشاعرية ، حتى وان لم يع هو ذلك او يحاوله عمدا · فما بالك به ان كان شاعرا قديرا ذا خبرة ودربة ، وذا وعى فنى عامد ·

اننا حين نجيد الاستماع الى كلام الناس الحى ، نجد انهم حين يشتد بهم الانفعال ، وان لم يكونوا شعراء ، يتخذ كلامهم انماطا من الايقاع والتنغيم تتموج مع اهتزازهم القوى ، وتتراوح بين العلو والانخفاض ، والحدة والعمق ، والطول والقصر ، تراوحا يساير تقلبات انفعالهم · فلنتذكر ان هكذا كان ينتج شعراؤنا القدامى شعرهم ،بالنطق الجاهر والتفوه المسموع ، ولنربط اذن بين مضمون انتاجهم من فكرة وعاطفة ، وبين تشكيله اللفظى فى مختلف عناصره اللفظية · حتى نصل الى هذه العلاقة الحية العضوية التى ذكرنا ، فنكون بذلك قد « درسنا » شعرهم حقا ·

هنا نكتفى بما تقدم من شرح عام ، فلسنا ممن يحبون ان ينفقوا كل مقالتهم فى حديث نظرى محض وجدل ذهنى صرف ، لأننا نرى هذه الوسيلة قليلة الجدوى فى تبصير القارىء واقناعه · لذلك نؤثر دائما ان نسند قضايانا على امثلة عملية ، بدراسة نصوص معينة تدعو القارىء الى النظر فيها والاستماع اليها ، ومنها هى نستخرج احكامنا ونرسل دعاوانا · اما وقد اخترنا للقارىء فى مقالاتنا الأربع الماضية قصيدة تدور على تجربة مرحة ، هى معلقة الأعشى ، فلنختر له الآن ابياتا تدور على تجربة مخالفة تماما ، من مرثية ابى ذؤيب الهذلى لاولاده الخمسة · ويستطيع القارىء الذى يحب ان يدرسها أولا فى شروحها القديمة ان يرجع اليها فى كتاب « المفضليات » الذى جمعه المفضل بن محمد الضبى ، وشرحه ابن الانبارى ، ولخص شرحه الاستاذان احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، وطبعته دار المعارف ، وهى القصيدة رقم ١٢٦ من هذا الكتاب ·

وابو ذؤيب هذا شاعر ولد فى الجاهلية وأدرك الاسلام ، فأسلم وحسن اسلامه · ومرثيته هذه تدور على تجربة فظيعة حقا ، فهو لم يمت له ولد واحد ، بل هلك اولاده الخمسة ، وتعاقب موتهم فى سنة واحدة · اما كيف حدث هذا فانهم كانوا قد هاجروا من موطنهم فى الحجاز ، الى مصر ، فأصابهم الطاعون ، ونحن نعرف من التاريخ ان طاعونا عظيما اصاب مصر فى سنة ١٨ هجرية ، وهذا يساعدنا على تاريخ القصيدة (ونحن مدينون فى هذا الى

المستشرق سير جيمز ليال ، الذى حقق المفضليات وشروحها القديمة تحقيقا جليلا ، وطبعها طباعة رائعة ، وترجمها الى الانجليزية مصحوبة بالملاحظات والتعليقات ٠) وهذه هى الأبيات التسعة الأولى من هذه القصيدة :

امن المنون وريبها تتوجع
والدهر ليس بمعتب من يجزع
قالت اميمة : ما لجسمك شاحبا
منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
أم ما لجنبك لا يلائم مضجعا
الا اقض عليك ذاك المضجع
فاجبتها : اما لجسمي انه
اودى بنى من البلاد فودعوا
اودى بنى وأعقبونى غصة
بعد الرقاد وعبرة لاتقلع
سبقوا هوى وأعنقوا لهواهمو
فتخرموا ولكل جنب مصرع
فغبرت بعدهمو بعيش ناصب
واخال انى لاحق مستتبع
ولقد حرصت بان ادافع عنهمو
فاذا المنية اقبلت لا تدفع
واذا المنية انشبت اظفارها
الفيت كل تميمة لاتنفع

فلنفكر برهة فى حالة اب يموت ولده ، ويكون هذا الاب شيخا اصابه الكبر ، ويكون ذلك الولد قد شب ونضج واثبت رجولته (والشراح القدماء يروون لنا ان ابناء ابى ذؤيب كانوا رجالا ولهم باس ونجدة) ٠ واطمأن الأب الى ان ابنه هذا ، بعد ما عانى فى تنشئته وتربيته وحمايته والحفاظ عليه السنين الطوال ، قد رسخت قدماه فى الحياة ، وانه سيخلفه ويعيش بعده ، ويحمل اسمه ويحيى ذكره ، فهو عزاؤه الاكبر حين تفجؤه فكرة الموت ، ويتذكر انه هالك لا محالة بعد عدد قليل من السنين ٠

وهذا من اقوى الاسباب لحبنا لأبنائنا ، اننا نعرف انا ميتون ولن نستطيع الخلود فى هذه الدار ، فاذا تركنا ولدا يحيى بعدنا ويحمل اسمنا ففى هذا نوع من العزاء ٠ وهذا هو النوع الوحيد من الخلود الدنيوى الذى نستطيعه ، أن نخلد فى ابنائنا الذين هم نطفة من اجسامنا واستمرار لعرقنا والذين يحملون اسمنا ٠ ويزيد هذا الشعور فينا كلما علت سننا فى الشيخوخة ، واشرفنا على نهايتنا المحتومة ، اذ ذاك يكون لنا فى ابنائنا عزاء كبير حين نتأملهم ونشهد رجولتهم وقوتهم ونفكر فى نجاحهم فى حياتهم وفى اعمالهم المشرفة وصفاتهم الطيبة ٠ فاذا فقدناهم فجأة فماذا نحس به من الانهيار ؟ وكيف نشعر كما لو ان جذورنا فى الأرض قد اقتلعت فاصبحنا كأعجاز نخل خاوية انقطعت صلتها بعروقها التى ترسخها فى التربة وتحمل لها عصارة الحياة ، او جفت هذه العروق فلابد ان يتبعها جفاف الأعجاز وموتها بعد قليل ٠

هذا الشعور الدقيق من الزعزعة العنيفة والانهيار المذهل هو ما يشعر به الوالد الشيخ الذى يموت ولده قبله ٠ وربما يستطيع القارىء ان يحققه اذا تذكر بين من عرفهم فى تجاربه ابا شيخا فقد ولده ، فتذكر حالته وسلوكه وكلامه ٠ ومن عجيب ما اذكره اما انجليزية مات ولدها الوحيد فى الحرب العظمى الثانية ، فشبهت نفسها بشجرة اجتثت من جذورها فهى لاقرار لها ، مع انها لم تعرف التعبير القرآنى ٠

ولكن عد الآن الى ابى ذؤيب فى حالته الخاصه ، وهو فى كبره يأتى اليه النبأ بموت احد ابنائه ، ثم ما يلبث ان يتلوه النبأ بموت ولد آخر ، فثالث فرابع فخامس ٠ الى اى مدى يصل شعوره بالزعزعة والانهيار ٠ وماذا ننتظر من مثل هذا الأب الشاعر حين ينظم قصيدة يضمنها استجابته لتجربته هذه ؟ الا ننتظر ان تكون استجابة عنيفة شديدة التزعزع والجلجلة ؟

بلى ، وهذا ما سنجده فى ابياته ان احسنا النطق بها والاستماع اليها ٠ لكن نسأل أولا : اى نوع من التعبير عن التزعزع ننتظر ؟ اما ان كنا ننتظر النوع الرخيص المبالغ فى التهويل ، الذى يطير فيه الناظم الى الاكليشيهات المطروقة المبتذلة ، فيدعى ان الكون كله قد تزعزع واضطرب لوفاة من توفى ، وان نظامه قد اختل ، وان عقد الأفلاك قد انحل ، وان النجوم قد تساقطت والشهب قد تهاوت ، والشمس قد انكسفت ، والأرض قد تفجرت براكينها وزلزلت زلازلها ومادت جبالها ٠٠ اذا كنا ننتظر مثل هذا من التهويل الكونى الذى يكثر فى الرثاء الكاذب المفتعل ، والذى يلجأ اليه اكثر الشعراء المقلدين ولا يعرفون سواه وسيلة لتصوير كارثة الموت ، وفداحة الخطب ، مكتفين بتكرار هذه الاكليشيهات

المعروفة المألوفة ، فاننا لن نجد شيئا من هذا لدى ابى ذؤيب .

اما الذى نجده عنده ، فتعبير صادق شخصى عظيم الشخصية ، يقتصر على أب محزون قابع فى ركن من اركان داره ، الى جانبه امرأة واحدة تحاول ان تخفف من ألمه ، فيرد عليها ويناجى نفسه وينفس عن انفعاله بأسلوب يعبر عن اهتزازه هذا ، لا بالتهويش والتهويل والادعاء المحض والتقريرات العارية ، بل تعبيرا عضويا بايقاعه ونغمه اللفظى . فايقاعه ونغمه ، حين نحسن النطق بهما وتتقن الاستماع اليهما ، وحين نسمح لكياننا بان يهتز معهما فى مجاوبة فنية صادقة التعاطف ، يعبران عن حالته ، لا بمجرد معانيهما اللغوية ، بل بدقيق ما يتخذان من حروف وحركات ، ومقاطع وكلمات ، فى انسجام عضوى تام مع تقلبات فكرته وتموجات عاطفته ، وهذا ما نرجو ان نوفق الى استجلائه الآن فى مقالتنا هذه والمقالات التالية ، طامعين فى ان يسايرنا القارىء ويبذل معنا جهد المشاركة الذى ينتظر منه ان اراد أن يحسن دراسة الشعر ومتابعة النقد .

أول ما نود أن يلتفت اليه القارىء من الجانب اللفظى لهذه الابيات هو رويها (والروى ، بفتح الراء وكسر الواو وتشديد الياء ، هو حرف القافية الذى يتكرر فى الجزء الأخير من كل بيت ، والذى تبنى عليه القصيدة وتنسب اليه ، وهو هنا حرف العين ، ولذلك تسمى هذه القصيدة « عينية ») فلماذا جاءت هذه الأبيات على روى العين ؟ أحدث هذا اعتباطا ، ام لهذا الحرف المعين صلة بانفعال التفجع الذى تؤديه الأبيات ؟

بل توجد صلة ، ويستطيع القارىء ان يستكشفها اذا نطق بحرف العين بضع مرات (نعنى النطق الجهرى فعلا ، الآن !) ثم تامل فى « طعمه » فى الفم وهو يخرج من مخارجه الصوتية ، وانصت الى جرسه حين يقع على سمعه . فانه سيشعر للتو بما لهذا الحرف :

اولا — من مرارة عجيبة ، فى اثناء تكوينه واخراجه من وسط الحلق ، ولهذا كان هو الحرف الذى ننطق به ونكرره حين نريد ان نعبر عن مرارة الدواء الذى شربناه ، او عن استبشاعنا لمنظر بشع او فعل بشع ، فنقول : اعععع ! بل لاحظ كاتب هذه السطور ان البريطانيين الذين لايوجد هذا الحرف فى لغتهم ، حين يريدون ان يعبروا عن نفس المعنى ، يصدرون صوتا قريبا منه ، او بينه وبين حرف الغين ، والغين ايضا حرف حلقى يقارب العين فى تكوينه واخراجه ، ويرمزون الى هذا فى كتابتهم ، لعدم وجود عين او غين فى خطهم ، بحروف ثلاثة هى حروف « يو — جى — ايتش » !

ثم يشعر القارىء **ثانيا** بما لوقع العين على الأذن من قرع خاص ، قوى التمثيل لانفعال الروع ، والجزع ، والفزع ، والهلع ، كبير الملاءمة لمشاعر التوجع ، والتفجع . ولعل هذا هو السبب الذى جعل جميع هذه الألفاظ اللغوية تختتم بحرف العين !

هنا نرجو الا ينسب الينا بعض القراء مبالغة لم نقصدها ، فيظنوا أننا نعنى ان كل كلمة عربية يرد فيها حرف العين فهى تحتوى على طعم مر ، او تدل على انفعال موجع مفزع مروع ، كما فعل استاذ جليل فذكرنا بأن كلمة « العسل » تبدأ بحرف العين ! فنحن انما نتحدث عن هذه الالفاظ التى عددناها ، والتى نعتقد ان كل قارىء سيوافقنا على ما ادعيناه فيها اذا كرر النطق بها والتفت الى موقع العين منها بضع مرات .

والذى نستطيع أن نؤكده على أى حال ، هو طعم العين ووقعها حين تأتى رويا لأبيات القصيدة ، فانها ترتبط ارتباطا قويا بينا بالانفعالات المذكورة . وحتى هنا لا ندعى أن كل قصيدة عينية فلا بد أن تؤدى هذه الانفعالات ، وانما نعنى حقيقة لا نرى كيف يشك فيها قارىء مطلع ، وهى أن العين حين تأتى رويا لقصائد الرثاء يكون لها ارتباط كبير بمضمون القصائد ، وفعل قوى فى خلق الجو الانفعالى الذى يبتغى الشاعر أن يهيئه . ومن هنا ورودها رويا لكثير من أروع المراثى القديمة وأصدقها وأشدها تأثيرا فى نفوسنا . ويكفى الآن أن يجهر القارىء بنطق الكلمات التى تختم الأبيات التسعة السابقة ، ويتأمل لوكتها فى الفم وقرعها للسمع ،

وعليه فى النطق بها أن يشبع الضمة اللاحقة بها حتى تصير واوا فتطيل النغم وتردده :

تتوجعو · يجزعو · ينفعو · مضجعو · ودعوا· تقلعو · مصرعو · الخ ···

ان كان القارىء قد استجاب لرجائنا ونطق بهذه الألفاظ جهرا ، فما نشك فى أنه قد أدرك تماما ما نعنيه وتحقق من صدق ما ادعيناه ·

أعد الآن قراءة الأبيات كلها جهرا ، ملتفتا فى كل منها الى اثر روى العين حين يجىء نغما ختاميا للبيت، ومتتبعا تعاقب هذا النغم فى البيت بعد البيت وما يحدثه هذا التعاقب من ترديد الصدى وبناء الهيكل العاطفى العام فى وحدة شاملة تبنى لبنة لبنة ، وتشتمل فى داخلها على ما سنرى من دقائق التقلب الفكرى والتنويع العاطفى ·

والآن ندرس الابيات لنفعل ثلاثة أشياء · ننظر فى مضمون كل بيت من فكرة وعاطفة · وننظر فى جانبه اللفظى من حروف وحركات ومقاطع وكلمات· ثم نربط لفظه بمضمونه ربطا عضويا حيا · وبعد أن نحقق هذه الأعمال الثلاثة ننظر أخيرا فى اثر كل بيت فى الاضافة الى المضمون الكلى جزءا بعد جزء ، لبناء الوحدة الفكرية والعاطفية المنسجمة ، واثره فى تنمية الجانب اللفظى تفصيلا بعد تفصيل حتى يتكون من مجموع الابيات الشكل الشامل الذى يحتوى جميع العناصر المضمونية فى القطعة الشعرية فى انسجام نهائى فكرى وعاطفى ولفظى ·

وهذا ما سنحاوله بدءا من المقالة القادمة ، راجين أن يستغل القارىء المهتم هذه الفترة فى الرجوع الى الأبيات فى شرحها المذكور ، تمهيدا لما سنقوله عنها وندعى وجوده فيهـا من دقائق الايقاع والنغم ، المنسجمة مع دقائق الأفكار والعواطف ·

الملكية الاسلامية والمجتمع الاشتراكى

بقلم مصطفى [illegible]

لا مراء ولا جدال فى ان الملكية الاسلامية ملكيـة ذات وظيفة اجتماعيـة ، فهى لم تشرع الا لخدمة الفرد والجماعة على السواء ، وهى فى هذا انما تختلف اختلافا بينا عن الملكية فى القانون الرومانى الذى جعل الملكية فردية بشكل مسرف لا حد له ولقد كان القانون الرومانى مشبعا بروح فردية مسرفة فى فرديتها . ثم أتت القوانين التى نقلت عنه كالقانون الفرنسى لسنة ١٨٠٤ مسرفة هى الاخرى فى فردية الملكية الخاصة .

وكان لا بد من مرور زمن طويل وتطور ذى خطوات جبارة قبل ان تتشبع مثل تلك القوانين بالمبادىء الاشتراكية ، وتصبح الملكية ذات وظيفة اشتراكية ، اذ قد بدات فى القانون الفرنسى وفى كثير من القوانين الاوربية حركة تشبيع نظم الملكية الاشتراكية منذ منتصف القرن الماضى ، وهى الحركة التى عرفت عند علماء علم الاجتماع القانونى باسم **« ادخال المبادىء الاشتراكية والاخلاقية فى القانون »** بسبب عدة عوامل اثبتت ان نظام الملكية الخاصة فى صورته الفردية المسرفة أضحى غير ملائم ، ومن هذه العوامل الحروب الكثيرة التى نشبت فى أوربا فى القرن التاسع عشر كالحرب السبعينية ثم فى القرن العشرين ولا سيما الحرب العالمية الاولى التى اضطرت الدول الى اصدار قوانين تحد من حرية المالك لتوفير التموين والمساكن اذ اصبح مستحيلا أن يترك المالك حرا فى فرض الاسعار التى يراها والخضوع لقانون العرض والطلب التقليدى فى استثمار سلعة او غير ذلك .

ومن هذه العوامل ايضا التصنيع أو الحركة الصناعية الحديثة ، التى أدت الى وجود آلاف العمال فى آلاف المصانع واصبح من المستحيل الاستمرار فى تطبيق المذهب الحر وترك اصحاب الاعمال فى مصانعهم أحرارا يتصرفون على أهوائهم فى فرض شروط العمل والاجر على العمال وانتصر أصحاب مذهب التدخل ، كما انتصرت الحركات العمالية

ونظام النقابات فى فرض تشريعات العمل لحماية العمل والعمال ، وهى من اهم مظاهر اشتراكية الملكية وتحويلها من النظام الفردى الى نظام أصبحت فيه ذات وظيفة اجتماعية ومن بين العوامل كذلك اتساع ظاهرة التمدين فى العصر الحديث اذ اتسع العمران وكثرت المدن واكتظت بالسكان واصبحت ممارسة الملكيةالفردية فى حدودها المسرفةمستحيلة لأن ذلك يؤدى الى عرقلة الحيــاة الاجتماعيــة بلا شك .

واخيرا كان من بين تلك العــوامل الازمات الاقتصادية التى كثرت فى أواخر القرن الماضى واثناء هذا القرن ممــا ادى الى تدخل الدولة فى كثير من الاحيان والقيام باجراءات من شأنها أن تخفف من حدتها ، وكانت نفس هذه الاجراءات بمثابة انتهاك صريح لمبادىء الملكية المسرفة فى طغيانها ، وذلكمثل تأجيل دفع الديون وتقليل سعر الفائدة وتغيير العقود المبرمة للتخفيف من غلوائها ...

واذا كانت الملكية الرومانية وما ادت اليه مننظم الملكيــة الفــردية فى الدول الاوربيــة الحــديثة قد استغرقت هذا التطور الكبير وتلك الخطوات الطويلة حتى تصير ملائمة للحياة الاجتماعية الحديثة ، فان الملكية الاسلامية كانت منذ اللحظة الاولى التى نزل فيها القرآن على محمد بن عبد الله ملكية اشتراكية تضم كل هذه المعانى الســامية من أن لها وظيفــة اجتماعية فهى لم تشرع لمصلحة المالك وحــده بل شرعت لتعود على صاحبها وعلى المجتمع الذىيعيش فيه بالنفع والخير ، فالاصل ان كل شىء لله وانما الملاك هم مجــرد اوصــياء او موكلين يتصرفون فى ملكيتهم وفق النظام الذى سنه الشرع الحنيف فى ذلك ، ولقد اكد القرآن الكريم هذا المعنى فىمواضع كثيرة ولا يسعنا هنا الا أن نبين اهمها : قال تعالى: « **له ملك السموات والارض ، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير** » . وقال « آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير » . وقال أيضا « وما لكم الا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض» وفى هذه الآيات يتضح بجلاء ان الاصل فى الملكيــة انها لله ، وان الملاك مجرد أوصياء او وكلاء يتصرفون وفق الحدود التى رسمها الله فهو الذى يمنح ويعطى ويمنع ويحرم « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير » ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى : « أو لم يعلموا انالله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أن فى ذلكلآيات لقوم يؤمنون » .

وكذلك دعاء سليمان لربه طالبــا الملك والعطاء « رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى انك أنت الوهاب » .

ولقد قيدت الملكية الاسلامية بقيود هامــة لكى تؤدى وظيفتها الاجتماعية .

واول قيد فى هذا هو الزكاة التى أوجب دفعهــا وفق انصبة خاصةولفئات معينة وفى أوقاتمحددة وبشروط حددت تحديدا دقيقا «انما الصــدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفــة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابنالسبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » اما غيرالمسلمين فقد فرضت عليهم الجزية وهى ضريبة تفرض على الرءوس بشرط أن يكون أصحابها من أهل الذمة . والجزية كانت توقع بنسب خاصــــة وفق المركز المالى للذمى . كما فرض أيضا الخراج وهو نوعمن الضريبة النقدية والعينية كانت تفرض سنويا على الاراضى التى يستولى عليها المسلمون وفق شروط خاصة تبعا لنوع الارض ومابها من زراعة ، كمــا فرضت ضرائب الجمارك وغيرها من الضرائب الاخرى التى كانت تفرض على التجار وعلى السفن وكانت هذه الضرائب تبلغ عادة العشر ومن هنا سمى من يجبيها باسم العشار بل ان الاسلام ليقــرر من حق الامام ان يفــرض من الضرائب فى صورة دائمة او مؤقتة ماتدعو اليه حاجة المسلمين او مايقتضيه الصالح العام .

ومن الحدود الهامة للملكية الاســلامية تكليف المالك بالاعتدال فى الانفــاق بلا تبــذير أو اسراف ولا تقتير . قال تعالى « ... ولا تبذر تبــذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشــياطين وكان الشــيطان لربه كفورا » وقال «ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولاتبســطها كل البسط فتقعد ملوما محســورا » ولذلك أباح الاسلام نظام الوصــاية أو الحجر على الافراد المبذرين أو الذين لايحسنون التصرف فى ملكيتهم ، بحيث يعين عليهم قيم يتصرف مكانهم بما يعود عليهم وعلى المجتمع بالفائدة والنفع ، قال تعالى « **ولاتؤتوا الســفهاء اموالكم التى جعل الله**

لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا » .

وكذلك قيدت الوصية والهبة ، ويقول فى هذا المقام الامام الغزالى رضى الله عنه « المال خلق لحكمة وهو اصلاحه لحاجات الخلق ، ويمكن امساكه عن الصرف الى ماخلق للصرف اليه . ويمكن بذله بالصرف الى مالا يحسن الصرف اليه ، ويمكن الصرف فيه بالعدل وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل ، فالامساك حيث يجب البذل بخل ، والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط وهو المحمود ...

قال تعالى « والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » .

ومن التزامات المالك الاجتماعية النفقة الواجبة شرعا على كل مالك ازاء زوجته وأولاده وطبقات الاقارب الذين حددهم الاسلام تحديدا دقيقا ، وهذه ليست منة يمن بها المالك على هؤلاء وانما هو حق لهم فى ماله وملكه يدفعه اليهم كالدين سواء بسواء . ومن أوضح الدلائل على اشتراكية الملكية الاسلامية نظام الميراث ، وهو توزيع الثروة على الاولاد والاقارب بنسب محدودة ، وهذا يؤدى الى تقليل الفوارق فى الثروة على ممر الاجيال ، فالملكية الاسلامية تختلف عن الملكية الجرمانية مثلا التى كانت تعطى كل الميراث للولد الاكبر ، وهذا كان يؤدى الى تكدس الثروات فى أيدى أفراد قلائل على ممر العصور . فنظام الميراث الاسلامى ونظام الزكاة هما من أبرز صفات اشتراكية الملكية الاسلامية . وآيات الميراث ولا سيما فى سورة النساء تعطى صورة صادقة لروح الاسلام تجاه الملكية وكيف يستخدم الميراث كوسيلة للتقربة بين الناس ولذلك احاط الشرع الميراث بضمانات حتى لايتلاعب الناس فى شانه فحرم عليهم التصرف فى الوصية الا فى حدود كما حرم الوصية للورثة حتى يأخذ كل ذى حق حقه ، اذ لا وصية لوارث كما يقول الفقهاء .

وحرم الاسلام على المالك الاسلامى أن يكنز نقوده ويمنعها من التداول أو الاستفادة منها فى تجارة أو صناعة او صدقة او فيما يعود نفعه على المجتمع ، فقال تعالى « **والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباهم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ماكنزتم لانفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون»** وبجانب كل هذه التحديدات حث الاسلام على البر والاحسان يؤتيه المؤمن من ماله عن طواعية ، وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ، وقال « يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ماكسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون » « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا » .

ومن التكاليف التى تثقل الملكية كذلك الكفارات الكثيرة مثل الكفارة التى تدفع عند عدم القدرة على الصوم فى ظروف معينة ، وحلف اليمين الكاذب والقتل الخطأ فى ظروف معينة ... وغير ذلك مما لايحصى من الحالات التى اوجب الاسلام فيها حقوقا فى مال المسلم يلزم بأدائها .

كما أن الاسلام يقف موقفا لا لبس فيه ضد تركيز الملكية فى ايدى فئة قليلة من الناس وترك الباقين بلا ملكية ، وفى هذا الصدد نجد واقعتين تؤيدان ذلك : الواقعة الاولى ما حدث فى توزيع الرسول للفىء عندما ارسل اهل فدك اليه يصالحونه على نصف أرضهم وكذلك توزيع فىء بنى النضير اذ منح هذا الفىء الاخير للمهاجرين خاصة ولرجلين فقيرين من الانصار ، وكان الغرض من كل ذلك التقريب بين ثروات المهاجرين والانصار . لأن المهاجرين وقد تركوا ديارهم فى مكة لم يكن لديهم شىء ، على حين ان الانصار كانت لديهم ثروة كاملة ومن اجل ذلك نزلت الآيات الشريفة فى سورة الممتحنة لتامر بايجاد التناسب بين ثروات أفراد المجتمع الاسلامى فى ذلك الوقت ، قال تعالى «ماأفاء الله على رسوله من اهل القرى ، فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب ، للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله واولئك هم الصادقون . والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولايجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

وهنا نجد كيف يحذر القرآن الكريم المهاجرين

الذين استقروا وسبق ان وزعت عليهم الثروات وكذلك الانصار من أن يضايقهم توزيع الفيء الجديد على اخوانهم دونهم .

وفي هذا نلمس موقف الاسلام واضحا في عدالة التوزيع وفي أن تكون الفوارق ضئيلة بين الملكيات.

اما الواقعة الثانية فهي أن الغنائم كانت توزع على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم على عهد ابي بكر الصديق رضي الله عنه بعد وفاته اي بعد وفاة الرسول عليه السلام ، وفقا للآية الكريمة « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ... » اذ كانت الغنائم توزع بحيث يخص بيت المال وبني هاشم وقيل قريشا كلها واليتامى والمساكين .. الخمس وكان الباقي يوزع على المحاربين . ولكن عندما ولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستولت جيوش المسلمين على غنائم كثيرة لاتحصى في مصر والعراق وفارس وغيرها واصبح على كاهل الدولة الاسلامية التزامات تستوجب أموالا وذلك الى جانب ما لاحظه عمر (وهذا هو المهم هنا) من أن كثيرا من المحاربين كانوا قد أخذوا من الغنائم أموالا طائلة وأثروا امر بعدم توزيع الغنائم وضمها لبيت المال مطبقا الآية الكريمة التي سبق ذكرها « **كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم** » .

فقوانين الاصلاح الزراعي والتأميم التي قامت اساسا لتقريب الفوارق بين الناس الى جانب اعتبارات أخرى كثيرة لاشك تجد في كل ماقدمنا اساسا اسلاميا لها : فالزكاة والميراث وتوزيع الغنائم والفيء والاحسان الحر الطليق والوقف والمناسبات التي حدد الاسلام الكفارة فيها أموالا وثروات تدفع للفقراء والمساكين وابناء السبيل في صورة نقدية او عينية ... كل ذلك يدل بما لايدع مجالا للشك على روح الاسلام في التقوية بين الطبقات وكذلك على روحه التي تجعل الملكية في خدمة المجتمع لا المالك وكذلك نجد حالات الحراسة العامة او الخاصة اساسها الاسلامي في قواعد الحجر الاسلامية أنها شرعت لصيانة الملكية وتوجيهها الوجهة الاجتماعية.

ومن اجل ذلك حرم أن يكون اساس الملكية لهوا ولعبا بلا عمل حقيقي او نشاط فعلي من جانب الافراد ، فحرم الربا ، والميسر وماشابههما من وسائل ، كما حرم اكتناز النقود ، بل امر بضرورة العمل على الانتفاع بها في وجوه البر والاحسان . والبر والاحسان ليس معناهما الانفاق على الفقراء والمساكين فقط بل القيام بأية مشروعات يفيد منها المجتمع الاسلامي . كما حرم الغش والاحتكار في التجارة والرشوة والربا .

ولقد أجاز الاسلام مصادرة الاموال التي اتت ملكيتها عن طريق غير مشروع او التي يستخدمها صاحبها في الضرر، وذلك لانفاقها في المصالح العامة التي تعود بالخير على المجتمع الاسلامي . وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصادر ماكان يكسبه الولاة من اعمال لايجوز لهم الاشتغال بها كالتجارة وما اليها ، او ما كان يأتي لبعضهم من رشاوى أو هدايا ، فكان عمر رضي الله عنه يطبق تقريبا « قانون من اين لك هذا » كما نسميه في العرف الحديث . ولجأ الى نفس الطريق بنو أمية اذ كانوا يحاسبون ولاتهم على كسبهم غير المشروع ، او الاموال التي اتت لهم عن طريق استغلال نفوذهم.

ولقد طبق مبدأ المصادرة خصوصا في عهد الدولة العباسية وكان من اشهر الولاة الذين صودرت ثرواتهم في عهد بني العباس محمد بن سليمان الذي بلغت أمواله المصادرة خمسين مليون درهم ، الى جانب الدور والضياع الكثيرة .

وكذلك ثروة علي بن عيسى بن هامان وكذلك ثروة البرامكة التي صادرها هارون الرشيد وقد بلغت مئات الملايين من الدراهم غير الضياع والدور . فالملكية الاسلامية اذن ملكية ذات وظيفة اجتماعية شرعت لمصلحة المجتمع ، والافراد مجرد حفظاء او رقباء عليها ، فان اساءوا استغلالها جاز للمجتمع أن يوجهها الى ما شرعت له .

من ملحمة عمر

فتح بيت المقدس

المشهد الثاني

بقلم علي احمد باكثير

(ترى عاتكه وبيدها ثوب ترفوه)

يرفا : (يدخل) مولاتي الم تفرغي بعد من رفوه ؟

عاتكة : رويدك يايرفا ماذا يعجلك ؟

يرفا : الا تعرفين يامولاتي ماذا يعجلني ؟

عاتكة : (ضاحكة) قميص امير المؤمنين الذي عليك ؟

يرفا : هو ذاك يامولاتي . ماذا انا قائل له لو جاء ووجد قميصه على ؟

عاتكة : لا تقل شيئا حتى يسالك .

يرفا : واذا سالني ؟

عاتكة : فقل له انى امرتك اياه ريثما ارفو قميصك .

يرفا : لا يامولاتي لا استطيع .

عاتكة : ويلك كم لك فى خدمة هذا الرجل ؟

يرفا : عشرون عاما ونيف .

عاتكة : ولم تعرف بعد ما يرضيه مما يغضبه ؟

يرفا : ذلك يا مولاتي خطبي معه . انى لاعمل الشيء ابتغى فيه مرضاته فاذا هو يسخط ويخفقني بالدرة ، واقع فى الشيء أخشى فيه غضبه وعقوبته فاذا هو يحمده لى ويثيبنى عليه .

عاتكة : فهذا يا يرفا مما يحمده لك ويثيبك عليه .

يرفا : كلا يامولاتي لا اجرؤ . نشدتك بالله الا ما اعدت قميصي الى

عاتكة : قبل ان اتم رفوه . ؟

يرفا : اتميه يوما آخر يامولاتي .

عاتكة : ويلك اتريدنى ان ارفو لك كل يوم ؟

يرفا : ان امير المؤمنين يوشك ان يعود .

عاتكة : ليعد !

يرفا : مولاتى !

عاتكة : لو لم تشغلني بدخولك وخروجك وسؤالك وجدالك لفرغت منه

يرفا : صدقت والله . انا الذى جنيت على نفسي . (يهم بالخروج)

صوت : (يسمع من الخارج) اهذا بيت امير المؤمنين ؟

ثان : نعم .

الاول : بابه مفتوح !

الثاني : اقرع الباب واستأذن . انى منصرف

الاول : جزاك الله خيرا اذ دللتنى

(يقرع الباب)

عاتكة : انظر من الطارق ؟

يرفا : ويرانى فى قميص امير المؤمنين ؟

عاتكة : وماذا يدريه انه قميص امير المؤمنين ؛ (تدنو من الباب) من الطارق ؟

الاول : انا سعد بن عميلة الفزارى رسول سعد ابن ابى وقاص الى امير المؤمنين .

عاتكة : ادخل ادخل .. الفتح ان شاء الله ؟

سعد : (يدخل) الفتح والنصر .

عاتكة : الحمد لله . انا عاتكة بنت زيد زوج عمر ابن الخطاب . وهذا يرفا مولى امير المؤمنين .

سعد : واين امير المؤمنين .

عاتكة : الم تجيء انت من طريق الربذة ؟

سعد : بلى ..

عاتكة : فكيف لم تلق امير المؤمنين فى طريقك ؟

سعد : القى امير المؤمنين فى طريقى ؟

عاتكة : انه يخرج كل صباح الى ظاهر المدينة يسال الركبان عن اهل القادسية فاذا انتصف النهار رجع .

سعد : انى ما لقيت غير رجل واحد سالنى فقلتله خبرا فطفق يخبمعى ويسالنى سؤالا بعد سؤال فخشيت ان يلهينى عما كلفت به ، فنخست ناقتي حتى فته وهو يركض خلفى ويقول مهلا مهلا .

يرفا : هذا امير المؤمنين .. القميص يامولاتى القميص ..

عاتكة : (متمسكة بالقميص) صفه لى يا اخا فزارة .

سعد : رجل اصلع طوال فى اسمال .

عاتكة : هو امير المؤمنين بعينه .

سعد : ياويلتا قد هلكت .

يرفا : مصيبتى انا اعظم من مصيبتك .

عاتكة : اجلس واسترح حتى يجيء امير المؤمنين (تهم بالخروج) .

برفا : مولاتي ..
عاتكة : ابق انت معه (تخرج)
برفا : باويلتا قد هلكت .
سعد : خبرني ايها الشيخ ما خطبك ؟
برفا : هذا القميص الذى على
سعد : ما باله ؟
برفا : قميص امير المؤمنين .
سعد : لو لم اره اليوم ماصدقتك .. هذا احسن حالا من القميص الذى رايته عليه .
برفا : اجل . هذا لشقوتي خير قميصيه .
سعد : وما حملك على لبسه ؟ البس لك قميص؟
برفا : قميصي ذاك الذى فى يد مولاتي عاتكة ترفوه .
سعد : ان كنت تخشي ان يراه امير المؤمنين عليك فاخلعه .
برفا : ليراني امير المؤمنين بغير قميص ؟
سعد : اطلب قميصك من مولاتك .
برفا : قد ناشدتها فابت الا ان تكمل الرفو .. وى ! هذا امير المؤمنين قد اقبل !
سعد : ادخل الى مولاتك لعلها قد اكملت رفو قميصك .
برفا : بل خير لى ان افوض امرى الى الله . (يتوجه نحو الباب ليستقبل مولاه) .
عمر : (صوته) يرفا الم يأتكم احد ؟
برفا : بلى يا امير المؤمنين . . بشير القادسية .
عمر : اين هذا الذى فاتني بشاته ولم يرحم ضعفى ؟ (يدخل) السلام عليك يا بشير الفتح .
سعد : (فى خجل وارتباك) وعليك السلام يا امير المؤمنين .
عمر : (يصافحه) ما اسمك ؟
سعد : سعد بن عميلة الفزارى يا امير المؤمنين
عمر : مرحبا بك ياسعد بن عميلة . . اجلس .
سعد : هلا اخبرتني يرحمك الله انك امير المؤمنين ؟
عمر : لا باس عليك يا اخى .. اجلس على هذه الوسادة .
سعد : كان ينبغى يا امير المؤمنين ان انزل لك عن راحلتي .
عمر : لذلك لم اخبرك بحقيقتي .. ولقد وددت لو بقيت على سيرك الاول لاسمع منك اكثر مما سمعت .. ولكنك وكزت الناقة ففتني .
سعد : سامحنى يا امير المؤمنين .
عمر : لا عليك يا اخا فزارة . هات فانا ننتظرك على جمر .
سعد : هذا كتاب سعد يا امير المؤمنين .
عمر : (ياخذ الكتاب فيتصفحه ثم يلتفت الى سعد) الملك جائع ياسعد
سعد : لا ياامير المؤمنين قد تبلغت فى بعض الطريق .
عمر : بلى يا اخا فزارة انى لأرى الجوع فى عينيك .. (ينادى) ياعاتكة ياعاتكة ..
عاتكة : (صوتها) لبيك يا امير المؤمنين .
عمر : ادخلى لتسمعى كتاب الفتح . (تدخل عاتكة) .. اسمعى ما يقول سعد فى كتابه : اما بعد فان الله نصرنا على اهل فارس ومنحهم سنن من كان قبلهم من اهل دينهم بعد قتال طويل وزلزال شديد . وقد لقوا المسلمين بقوة لم ير الراؤون مثلها فلم ينفعهم الله بذلك بل سلبهموه ونقله عنهم الى المسلمين . واتبعهم المسلمون على الانهار وعلى طفوف الآجام وفى الفجاج واصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارى وعمرو ابن ام مكتوم ورجال كثيرون معروفون، ورجال لاتعلمهم الله بهم عالم ، كانوا يدوون بالقرآن اذا جن عليهم الليل دوى النحل (تخنقه العبرة فيبكى بكاء شديدا ثم يمسح دمعه ويواصل القراءة) وهم آساد الناس لا يشبههم الاسود ولم يفضل من مضى منهم من بقى الا بفضل الشهادة اذ لم يكتب لهم .
(يلتفت الى يرفا) انطلق يا يرفا فمرهم ينادوا الصلاة جامعة
برفا : (مترددا) ...
عمر : ماخطبك .. انطلق .. ينبغى ان نبشر بها المسلمين الساعة
برفا : هذا القميص يا امير المؤمنين .
عاتكة : اخلعه وخذ قميصك فقد رفوته (تلقى اليه بالقميص) .
عمر : هات هذا القميص (يأخذه منه) اخرج فى القميص الذى عليك .

في طريق الوحدة الكبرى

كانت مصر والعراق بلداً واحداً

بقلم محمود الشرقاوي

وانا أكتب هذا الفصل من الأحاديث التي أوجزها عن : « وحـدة مصر وسوريا على مدى التاريخ » سمعت وقرأت ما سمع الناس وقرءوا من نبأ هذه الوحدة الجديدة بين مصر والعراق ·

فقد وقع الرئيسان **جمال عبد الناصر وعبد السلام عارف** قبل أسابيع اتفاقا ينسق سياسة البلدين حتى ينتهى بهما الوضع الى وحدة كاملة :

« ايمانا بوحدة الأمة العربية وحدة نابعة من وحدة اللغة والتاريخ ووحدة النضال والمصير العربى » ·

كما نصت على ذلك المادة الاولى من اتفاق التنسيق · ثم توالت بعد ذلك التصريحات والخطوات لانجاز هذه الوحدة على أساس هذا التنسيق ·

عند ذلك آثرت ان انعطف ـ شيئا ما ـ من حديث الوحدة مع سوريا الى ايجاز قليل أذكر فيه ، لهذه المناسبة ، فترة من تاريخنا قامت فيها وحدة متكاملة بين مصر والعراق في القرن الخامس الهجرى : « الحادى عشر الميلادى » ·

فترة من تاريخنا العربى كانت مصر والعراق فيها بلدا واحدا لا تقوم بينهما حدود ولا تقف سدود ·

كان ذلك في العقد السادس من هذا القرن الخامس ، مصر يحكمها الخليفة الفاطمى معد بن الظاهر ابن الحاكم بأمر الله خامس الخلفاء الفاطميين في مصر ، الذى عرف بلقب : « المستنصر » ، والعراق يحكمه الخليفة العباسى القائم بأمر الله ·

أما الناس فى العراق فقد كانت نفوسهم تفيض بالمرارة والألم ، وقلوبهم تمتلىء بالغضب والثورة بما كانوا يلقون من ظلم جند الأتراك وعسفهم وطغيانهم ، وكان جند الأتراك هم عدة الخليفة وسوط عذابه ·

وثارت فتنة وجرت امور وقامت حرب بين السلطان «طغرل بك» ، أول ملوك الدولة السلجوقية ، وبين اخيه ابراهيم ينال والب أرسلان ، ثانى ملوك هذه الدولة ، لقى الناس فيها فوق ما كانوا يلقون من ظلم جند الخليفة :

برفـا : هذا قميصك يا أمير المؤمنين .

عمـر : لبس قميصك بخيرمنه . انطلق (يخرج يرفأ) خذيه ياعاتكة فما اراك اكملت رفوه . وهاتى للبشير احسن ماعندك فانه ساغب لاغب .

عاتكة : حبا وكرامة .. (تخرج ثم تعود بشيء من التمر وكسرة من خبز الشعير على خوان فتضعه امام البشير) .

عمـر : تمر وخبز شعير .. اليس عندك خير من هذا لبشير الفتح ؟

عاتكة : ماعندى والله خير منه .

عمـر : بسم الله كل ياسعد .. تبلغ بهـذا والليلة تتعشى بدار الضيافةفتاكل خيرا من هذا الذى قدمته لك عاتكة ان شاء الله . هل تستطيع ان تصف للمسلمين ماوقع فى القادسية .

سعد : نعم يا أمير المؤمنين .

عمـر : كل اذن حتى لا تحدثهم وانت جائع .

صـوت : (يرتفع من ناحية المسجد) الصلاة جامعة .. الصلاة جامعة .

على احمد باكثير

« ... ووقع ببغداد وأعمالها أمور هائلة شنيعة » .

كما يقول الذهبي .

وكان فى بغداد والعراق كلها رجال يؤمنون بمصر ويعملون لها ، على رأسهم أبو الحارث أرسلان المعروف « بالبساسيري » فاهتبل الفرصة ، بل لعله كان من العناصر التى مهدت لها وأوجدتها ، فان بعض المؤرخين - كابن الأثير - يقول انه كان على صلة بمصر ، وقد أوقع بين الأخوين طغلر بك وابراهيم ينال ليصل الى غرضه من خلع القائم بأمر الله والانضمام الى مصر .

وفى اليوم الثامن من ذى القعدة سنة ٤٥١ : « يناير ١٠٦٠ م » دخل البساسيري بغداد - بعد وقائع وأهوال - يرفع رايات مصر ، ويعلن الولاء للمستنصر ، ويقيم وحدة بين العراق ومصر يحكمها ، من القاهرة ، الخليفة الفاطمى . وكان يوم الجمعة فى الثالث عشر من ذى القعدة هذا فخطب الخطباء باسم المستنصر على منابر بغداد . وكان هذا هو « الاعلان الرسمى » عن قيام الوحدة .

ثم جرت أحداث طويلة انتهت بالقبض على وزير الخليفة العباسى القائم بأمر الله وقتله ، وأسر الخليفة . وفى الجمعة التالية كانت الخطبة فى مساجد العراق باسم صاحب مصر المستنصر ، وقطعت الخطبة العباسية بالعراق كله :

« وهذا شىء لم يفرح به أحد من آباء المستنصر »

كما يقول المؤرخون .

❊ ❊ ❊

وكان أهل بغداد وأهل العراق يعتنق بعضهم مذهب الشيعة وبعضهم المذهب السنى ، ولكنهم كانوا جميعا يسارعون الى معونة البساسيري على اختلاف مذاهبهم :

« أما الشيعة فللمذهب - حيث كان مذهب الشيعة هو مذهب الحاكم فى مصر - واما اهل السنة فلما فعل بهم الأتراك » ، كما قال ابن الأثير . فقد كان أهل العراق - كما اشرنا - يلقون من قوة الجند الأتراك - جند الخليفة القائم - شرا لا يطيقونه ، فآزروا الدعوة للوحدة مع مصر والاندماج فيها لينحسم عنهم هذا الشر العظيم .

ثم يجىء بعد ذلك العيد . فكان مناسبة يرفع فيها البساسيري عن أهل العراق بعض ما لحق بهم من الأذى ويذيقهم فيها بعض ثمار الوحدة مع مصر : (... فلما جاء عيد الأضحى ركب البساسيري وعلى رأسه الألوية : « الاعلام » المصرية وعبر الى المصلى بالجانب الشرقى من بغداد - وأحسن الى الناس ، وأجرى الجرايات على الفقهاء ، ولم يتعصب لمذهب . وأفرد لوالدة الخليفة دارا وراتبا ، وكانت قد قاربت التسعين) . ثم بعث البساسيري البشائر الى مصر . ومن هنا نعرف أن تلك الوحدة بين مصر والعراق كان استهلالها الخير والاحسان الى الناس ، وتكريم العلماء ، والبعد عن التعصب المذهبى - وقد كان طابع العصر كله والحكام - والبر بأم الخليفة العجوز والبعد بها عن الأذى والخصومة .

❊ ❊ ❊

ودخل الفن فى هذه الأفراح والمباهج : يقول مؤرخ مصر جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الأتابكى صاحب « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » : (... ولما خطب البساسيري فى بغداد باسم المستنصر معد هذا غنته مغنية بقولها :

يا بنى العباس صدوا
ملك الأمر معد
ملككم كان معارا
والعوارى تسترد

فطرب المستنصر لذلك ووهبها ارضا بمصر رزقة لها ، جائزة لانشادها هذا الشعر ، وتلك الارض الآن تعرف بأرض الطبالة بالقرب من بركة الرطلى لكونها غنته بهذه الابيات ، وهى تطبل بدف فى يدها ، فعرفت بأرض الطبالة) ثم يقول : (وكان ما وقع للمستنصر هذا تمام سعده .) و « أرض الطبالة » ، مازال حيا معروفا فى القاهرة .

وقد رأينا فى بعض هذه الفصول عن الوحدة مع سوريا أن مصر كانت ، فى فترات غير قليلة من تاريخها ، تقيم وحدة مع اليمن ، أو مع الحجاز ، أو مع الموصل، أو مع بعض هذه البلاد متفرقة ومجتمعة . ولكن وحدة العراق هذه فى عهد المستنصر ، كانت أشمل من كل ذلك وأكمل . فقد كانت ، فى أيامها ، ترفع الرايات المصرية على الحجاز واليمن وسوريا .

ثم رفعت على العراق ، كما رأينا ، فهي بذلك كانت تنتظم بلاد الشرق العربي كله ·

ثم نعود لوصل ما كنا نتحدث فيه ـ قبل هذا الانعطاف ـ عن : « وحدة مصر وسوريا على مدى التاريخ » ·

لم تكن تلك الوحدة التي شملت مصر والشام في ظل الدولة الفاطمية سالمة من المنغصات ولا من الشر والشغب ، فان الكارهين للوحدة في الداخل كانت نفوسهم حاقدة عليها ، والحاقدين عليها في الخارج كانت نفوسهم موتورة من نجاحها وتوفيقها وسطوتها وبأسها · أما الكارهون في الداخل فقد تمثلت أحقادهم في ثورة قاموا بها في سوريا سنة ٤٢٠ : « ١٠٢٩ م » في عهد الظاهر الفاطمي ، وكان صاحب وزرها وكبير اثمها رجلان جمعتهما الخيانة وحركهما الطمع وانتهى أحدهما الى الفرار وثانيهما الى القتل : « صالح بن مرداس » و « حسان ابن المفرج بن الجراح » ، خرج معهما كثير من الاعراب والأوشاب · ونجحت الخيانة في أول أمرها حتى استولى الأوشاب على البلاد ووصلوا الى غزة · وتغلبوا على الجند وأفسدوا في البلاد وطغوا وظلموا حتى فر من أهل الشام كثير · ثم أخرج لهم الظاهر جيشا من القاهرة قهرهم ، وفر حسان وقتل صالح وولد له · ودخل جيش مصر دمشق فأعادها الى الوحدة وأرسل برأس الخائن الى القاهرة · وسجل ذلك شاعر الشام يوم ذاك : « ابن حيوس » في قصيدة له طويلة يقول فيها :

يومان للاسلام عز لديهما
دين الاله وذلت الأعراب

يريد باليوم الأول يوم فتح مكة ، وبالثاني يوم هزيمة الخيانة · ثم يقول :

كانوا حديدا في الوغى لكنهم
لما اصطلوا نار المظفر ذابوا

يريد بالحديد الثائرين من الأعراب والأوشاب، ويريد بالنار التي أذابت الحديد جيش مصر المظفر · وظلت الفتنة تثور وتخمد حتى استطاع جيش مصر أن يقتلها فلا تقوم لها بعد ذلك في عهده حياة ·

وأما الحاقدون عليها ـ على الوحدة ـ من الخارج فقد تكاتفوا وجمعوا جموعهم متكالبين على غزو سوريا أو استنقاصها من أطرافها · وتآمر الحقد الأوربي والتعصب الصليبي على ذلك فجيشا الجيوش الكثيفة وتعاونا على الاثم والعدوان ، وأغار الامبراطور « نقفور » وخليفتاه على سواحل سوريا بين سنوات ٣٥٢ : (٩٦٣ م) و ٤١٦ : (١٠٢٥ م) حتى استطاعوا أن يمتلكوا بعض المدن على سواحلها وأن يستولوا على كثير من بلادها ، حتى نهر العاصي وأقاموا في أنطاكية « دوقية » أوربية صليبية دام حكمهم فيها أكثر من قرن ·

ولا أريد أن أفيض في ذكر هذا الطوفان من الحقد الأوربي والتعصب المسيحي ولا أن أذكر نجاحهما في دخول بيت المقدس واقامة مملكة لهم فيه ، ثم عدوانهم على سواحل مصر عند دمياط وما لقوا عندها من الذل والأسر والهوان ، لا أريد أن أفيض في ذلك الا بمقدار مايشعرنا ويذكرنا بما قام به هذا الحقد والتعصب من محاولات جبارة وما بذل من جهد ناثق ليخفض رايات الوحدة ويطفيء نور الاسلام ويقضي على كلمة التوحيد ، ويستخلص هذه البلاد وخيراتها لنفسه ويستذل أهلها ويمحو أمجادها ·

في هذه الفترة الحاسمة من تاريخ الوطن العربي، وقبلها بوقت قصير ، أهدت سوريا لشقيقتها مصر رجلين من أصلب الرجال عودا وأعظمهم توفيقا وأعمقهم اخلاصا : بدر الجمالي الذي خرج من عكا ثم جاء الى مصر فأنشأ فيها وأقام ، وأصلح وعمر ، وقوم فسادا كاد يزيد ويطغى ، وصلاح الدين الأيوبي : بطل من أبطال الوحدة وأبطال العالم كله ورجل من رجال التاريخ ·

البحر فى بلادى

للشاعر خليل جرجس خليل

الشاعر يصف رحلة قام بها فى البحر الاحمر
بالباخرة العربية « عايدة »

ودعت اولادى باشواقى
وتركت اقلامى واوراقى

وسعيت نحو البحر اركبه
وابثه اسرار مشتاق

كاشفته بالسر فى هربى
وكشفت عن صدرى وعن ساقى

فى البر كم عانيت من نصب
وشواغل كثر وارهاق

* * *

وطبيعتى فى الخلق تبعد بى
عن ضجة وزحام طراق

هذا يكيد لكى يعذبنى
وسواه معنى باقلاقى

وتميمتى من كل شرهمو
ادبى وايمانى واخلاقى

وجنوحى ـ الايام ـ مرتحلا
اعتاض عن سام بترياق

* * *

ان الطبيعة وهى حاسرة
معبودتى وجماع اشواقى

فى حضنها لا معطف قشب
او حلة من صنع حزاق

وتانق وتزمت نزق
وهوى مبالغة واغراق

ومشقة لتقيم من أود
من بعد ما سعى بأسواق

* * *

فهنا ، بقرب البحر ، لا رهق
فى الزاد او فى خمرة الساقى

بالصيد تظفر بالأطايب من
جوف المياه لكل سباق

والله سخر كل سابحة
للناس أنصبة باغداق

البحر دنيا وحده ملئت
من راحة كبرى وأرزاق

* * *

قضيت اياما على ظما
لكنها احلى اويقاتى

استاف عطر البحر مبتهجا
واعبه عب النسيمات

وانا اطالع فى صحائفه
وجه الطبيعة كل ساعاتى

الشمس تطلع مثل غانية
كشفت بكفيها الغلالات

* * *

والتوت فى يدها بلا ورق
لا باس وهى بغير عورات

انتظرى ..!

للشاعر حسن عبدالله القرشى

انتظـرى انتظــرى توقـدى كالشـرر !
وارتفقى النافذة الـ ـحمراء ولهى النظر
مجمـرة الرماد مثـ ـوى قلبك المستعر
فلن اعود لن اعو د لن اضيع عمـرى
لن احرق الحياة قر بانا اليك فاذكرى
انتظـرى يا طالمـا اثرت كل ضجرى
يا طالمـا اشعلتنى وهجت اشجى ذكرى

كويت قلبى بالجوى والدمع اعشى بصرى
وكم مشيت فوق اشـ ـواكى وطال سهرى
وعاد صبحى كابيـا كالأمل المنتحـر
حتى تناسيت الهوى وعفت مر الثمر
شفيت من حبك وانجا ب الدجى عن نظرى
فانتظرى وحدك ما شئت هنا واصطبرى !

حسن عبد الله القرشى

واللازورد هنا يصافحهـا
بالموج ، يسقيها بكاسات

وتكاد لولا الصحو تحضنها
بيديك من شغف ولوعات

ولها الأشعة غير لاهبة
ولها الحرارة غير ثارات

* * *

كم كان يحـلو لى بلا ملل
ان استحم بعطرهـا الذاتى !

ان الطبيعة ههنا سـكنى
ومناط احلامى وراحـاتى

وتنقلت بى مركبى صعدا
من مرفا للمرفا الثانى

لا يشبع الانسان عندهمـا
من مشـهد ريان مزدان

الرمل مثل التبر منسرح
والشط مكســو بعقيان

اسعى اليه لكى أعـانقه
فأراه بالاحضان يلقـانى

ويكاد ، ان ودعت ، يتركنى
من اجله ، قلبى والحانى

هـذى بلادى فى مفاتنهـا
جمعت لنا من كل فتان

هـذى بلادى لا اشـبهها
بموانىء وربى وشـطان

من يات يلق الحسن فى بلدى
والسـحر مشغولا باوطانى

قم يا اخى واشهد محاسنهـا
فى رحلة ، بحرنا الدانى

خليل جرجس خليل

من آثار العرب في صقلية

بقلم : الغزالي حرب

فى خلافة الخليفة الراشد الثالث ، عثمان بن عفان ، وفى العام الرابع والثلاثين من الهجرة ، انتصر الاسطول العربى بقيادة معاوية بن أبى سفيان، على الاسطول الرومى بقيادة قسطنطين بن هرقل فى غزوة « ذات الصوارى » بالبحر المتوسط الذى اتى عليه حين من الزمن وهو يعرف باسم «البحر العربى» لان العرب والمسلمين ــ كما قال ابن خلدون ــ ، قد امتطوا ظهره للفتح سائر أيامهم ، فكانت لهم المقامات المعلومات من الفتح والغنائم ، وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه مثل ميورقة ومنورقة ويابسة وسردانية وصقلية وقوصرة ومالطة واقريطش وقبرص وسائر ممالك الروم والافرنج ، .. واكبر هذه الجزائر جزيرة صقلية التى أطلق عليها القدامى «اتريناً كريا» ومعناها «المثلث» لانها تنتظم هيئة مثلث كبير متساوى الاضلاع تقريبا جنوبى غربى ايطاليا .. وقد شجع انتصار العرب فى « ذات الصوارى » ــ فيما شجعهم ــ على محاولة غزو هذه الجزيرة البحرية الكبرى أكثر من مرة ..

ففى العام الخامس والاربعين غزوها بقيادة عبد الله بن قيس الفزارى .. وفى أخريات القرن الاول الهجرى غزاها عياش بن أخيل أحد قواد موسى ابن نصير وفى مطلع القرن الهجرى الثانى غزاها محمد بن يزيد الانصارى ..

وفى عام ١٣٠ هـ غزاها وغزا سردانية عبد الرحمن ابن حبيب الفهرى . ولم تفلح هذه المحاولات كلها فى الاستيلاء على صقلية التى ظل العرب يتحينون لها الفرصة حتى واتتهم من حيث لا يحتسبون ، فقد اشتد الخلاف بين أوفيميوس الرومى حاكم صقلية وبين امبراطور الروم ميخائيل الثانى . وتوعد كلاهما الآخر بالقضاء عليه . والتخلص منه ، ولما أحس أوفيميوس بخطر زحف القوة العسكرية التأديبية التى سيرها الامبراطور اليه ، أرسل الى الحاكم العربى على تونس زيادة الله ابراهيم بن الاغلبى ، يستعين به على قوة الامبراطور الزاحفة اليه ، فانتهز زيادة الله الاغلبى هذه الفرصة التى لم تسنح لابيه ابراهيم من قبل ، وسارع الى ارسال حملة عسكرية عربية بقيادة اسد بن الفرات بن سنان يوم الاحد ١٤ ربيع الاول عام ٢١٢هـ الموافق ١١ يونية ٨٢٤م وأقلعت من تونس الخضراء مائة سفينة تحمل عشرة آلاف من المقاتلين، وسبعمائة من الفرسان الصناديد .. الى ساحل صقلية التى رحب حاكمها بالعرب المنجدين الذين سرعان ما اتخذوا من بلدة « مازارا » الصقلية أول ميناء جعلوه قاعدة عسكرية لهم ، ومن هذه القاعدة أخذوا يحملون بقوة وبسالة على الحصون والمدن التى اعتصم بها الاعداء ولا سيما بالرمو وسرقوسة ومسينا .. وكان النصر حليفهم فى معظم معاركهم ، وبعد ثلاثة عشر شهرا من الجهاد الباسل، والكفاح الموصول ، استشهد القائد العربى أسد ابن الفرات ، فدفنوه حيث استشهد تحت أسوار سرقوسة . وخلفه القائد العربى الآخر محمد بن أبى الحوارى ، الذى انتصر على القائد الرومانى «بلاطة» وثبت دعائم الحكم العربى فى انحاء الجزيرة ، وخاصة بعد نجاح البطل العربى زهير بن عوف فى اخضاع عاصمتها « بالرمو » ، وبعد مصرع الحاكم اوفيميوس بايدى أنصاره الذين مثلوا بجثته عقب قتله شر تمثيل ..

وهكذا استقر العرب فى صقلية أيام المأمون العباسى من عام ٢١٧ هـ الى عام ٤٥٠ هـ على ايدى الأغالبة ودام الحكم العربى بها ٢٣٣ عاما وقد أشاد جستاف لوبون فى كتابه « حضارة العرب » بسماحة هؤلاء العرب الفاتحين وانسانيتهم فى معاملة أبناء الجزيرة الذين تركوا لهم تقاليدهم وعاداتهم وحريتهم الدينية كاملة غير منقوصة، دون أن يتقاضوا منهم الا جباية أقل كثيرا مما كان اليونان يتقاضون منهم من قبل ، وأعفوا من هذه الجباية الرهبان والنساء والاولاد ، تأدبا منهم بسماحة الاسلام فى معاملة غير المسلمين .. ومن آثار الحضارة العربية والمدنية العربية فى صقلية ، على الرغم من قسوة الظروف ، واضطراب الاحوال ، وحداثة العهد ، زراعة مزروعات عربية جديدة مثل « البردى » و « المران » ، واقامة المجارى لاول مرة فى تاريخ الجزيرة ، وانشاء مصانع الورق التى انتفعت بها ايطاليا نفسها ، وانشاء مصانع الحرير كما ينطق بذلك الرداء الحريرى الاثرى الذى ما يزال فى متحف

نورمبرغ بالمانيا حتى اليوم ، وهو الرداء الذى كان الحكام العرب فى صقلية يرتدونه ، وتسجل الكتابة الكوفية التى على نسيجه التاريخ الهجرى ٥٢٠ هـ وهو الموافق للتاريخ الميلادى ١١٣٣ م ٠٠ ، مما يدعو الى الاعتقاد بان صناعة صبغ الثياب انتشرت فى اوربا نفسها من صقلية ، ومن هذه المصانع العربية فى صقلية العربية ، كانت الثياب المحلاة بالجواهر كما كانت الطنافس المصورة ، والجلود المدبوغة ٠ تصدر الى الخارج ، والى الحضارة العربية فى صقلية ، أيضا ، يرجع الفضل فى تعدين مناجمها التى حفلت بالذهب والفضة والشب والكحل والزاج والحديد والرصاص والنوشادر .. كما يرجع الفضل اليها فى معرفة الصقليين للقنوات ذوات الانابيب المعقوفة المعروفة باسم «السيفونات» والى اخذهم بكثير من الوان الفنون المعمارية وغيرها وما اصدق المؤرخ المنصف « ديبل » اذ يقول :«ان العرب قد حملوا معهم الى جزيرة صقلية مظاهر غريبة من فنونهم وقناطرهم العالية الجميلة ونقوشهم من المقرنصات وجمال قاشانيهم ذى الميناء، وفسيفسائهم المعمولة من الرخام الملون وصورهم الجميلة » ٠٠ ثم يقول : « ولما سقطت بلرم فى أيدى العرب عام ٨٣١ م ، ولم يكن فيها سوى ثلاثة آلاف نسمة ، دخلت حالا فى مضمار الفنون ، وكانت فى درجة عالية من الحضارة لم يسمح بمثلها » .

وفى « بلرم » هذه انشا العرب اول مدرسة للطب فى العالم ، وقد افادت منها أوربا فى مدارس الطب التى انشأتها بعد ذلك ، وكما أشاد جوستاف لوبون وديبل بمدينة العرب وافضالهم على صقلية ، اشاد بها المؤرخان المنصفان الآخران : آمارى فى كتابه : « المسلمون فى صقلية » وتوفنر فى كتابه : « فلسفة التمدن » ٠

أما آمارى فحسبنا قوله : « ان من غلبوا على امرهم من سكان الجزيرة كانوا فى راحة وسرور على عهد أمراء المسلمين ، وكانت حالهم احسن بكثير من حال اخوانهم الايطاليين الذين كانوا يرزحون تحت نير اللنجو ومانيين والفرنجة » ..

وأما توفنر فيقول : « منذ الفتح الاسلامى الى القرن التاسع عشر ، لم يبرح الشعب النصرانى فى صقلية ينتقل من يد غريبة الى يد غريبة ، ومااستطاع أن يحكم نفسه بنفسه، وقد بلغ أعلى درجات حضارته بعد القرن الرابع على عهد حكومة المسلمين » ! ٠٠

وفى ظلال هذا العهد العربى الاسلامى بصقلية ، قامت نهضة ثقافية عظيمة لا يستهان بها ، وعلى أيدى كثير من أبناء الجزيرة الاعلام ، الذين نذكر منهم على سبيل التمثيل لا الحصر :

فى ميدان السياسة والقيادة جوهر الصقلى وأسد بن الفرات ٠٠ وفى ميدان الفقه والتشريع والقضاء الاسلامى أسد بن الفرات ايضا فى الفقه المالكى وأسد بن الحارث صاحب « الاسديات » فى الفقه ٠ والقاضى ميمون بن عمر وعبد الرحمن بن أبى العباس وعيسى بن عبد المنعم والحافظ المازرى والحافظ القللورى الذى ينتسب الى ما يعرف اليوم باسم « كالبريا » .

وفى ميدان الشعر والادب نذكر عبد الرحمن بن ابى العباس وعيسى بن عبد المنعم وعمار بن المنصور وأبا محمد عبد الجبار المشهور بابن حمديس الصقلى الذى طبع له ديوان فى بالرم عام ١٨٨٣ م وفى رومية عام ١٨٩٧ م كما حقق ذلك جورجى زيدان

وقد احصى ابن القطاع سبعين ومائة شاعر من شعراء صقلية فى كتابه : « الدرة الخطيرة والمختار من شعراء الجزيرة » ٠٠

ويروقنى هنا قول الأستاذ عباس العقاد ص ٦٦ من كتابه «أثر العرب فى الحضارة الاوروبية» مانصه:

« وقد قال دانتى : ان الشعر الايطالى ولد فى صقلية وشاع نظم الشعر باللغة العامية فى اقليم بروفنس حيث تلتقى الامم اللاتينية فى الجنوب ، فانتشر من ذلك الاقليم الشعراء الجوالون الذين عرفوا باسم التروبادور، واشتق الاوروبيون اسمهم هذا من كلمة طرب او طروب وان اسم قصيدهم « تنزو » مأخوذ من كلمة « تنازع » العربية لأنهم كانوا يلقون الشعر سجالا ، يتنازعون فيه المفاخر والدعاوى ٠ كما يفعل القوالون حتى اليوم بين أبناء البادية المحدثين » ٠

وفي ميدان علوم اللغة العربية نرى ابن ظفر مؤلف « الاشتراك اللغوى والاستنباط المعنوى » و « طفولة العظماء » و « ينبوع الحياة » و « أعلام النبوة » كما نرى ابن القطاع السعدى الذى ذكر ابن خلكان وياقوت وغيرهما من مؤلفاته « أبنية الافعال » و « العروض البارع » فى علم العروض و « الشافى فى القوافى » و « الملح البصرية » و « طبقات الشعراء » و « الدرة الخطيرة » كما سبقت الاشارة الى ذلك آنفا ..

وفي ميدان الجغرافيا والتاريخ والرحلات نذكر الشريف الادريسى مؤلف : « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » الذى يحتفظ له متحف «سان مرتين» بفرنسا – كما قال جورجى زيدان – بخريطة تثبت أنه كان « على بينة من حقيقة منابع النيل » كما نذكر ابن الخزاز مؤلف : « تاريخ صقلية » وابن حوقل مؤلف : « محاسن أهل صقلية » ..

وفي ميدان الهندسة والنجوم والحكمة والطب نذكر محمد بن عيسى وأبا سعيد بن ابراهيم مؤلف « المنجح فى التداوى » والمازرى صاحب المؤلفات العظيمة ..

هذا غيض من فيض النهضة الثقافية التى تمت بصلة قرابة أو نسب الى حضارة العرب ومدنيتهم فى صقلية ، فلا عجب أن عنى بعض المستشرقين بضم أجزائها بعضها الى بعض ، واطلقوا عليها اسم « المكتبة الصقلية » .

وظلت اللغة العربية هى اللغة الرسمية الأساسية فى هذه الجزيرة ، زمنا ليس بالقصير – كما قال « لويجى رينالدى » فى مجلة المقتطف م ٥٩ ، وبها ضربت النقود وعليها « لا اله الا الله محمد رسول الله » .

ومن الألفاظ والكلمات العربية التى ما تزال حتى اليوم تشير الى تراثنا العربى فى «صقلية» مايأتى :

كلمة « قلتنا » المحرفة عن « قلعة » مثل « قلتنا نسيتا » أى « قلعة النساء » . وكلمات « مرسى » و «منزل الأمير » و « منزل يوسف» و «رمل الموز» و « رمل السلطانة » و « القنطرة » و «وادى الطين» و « جمهورية » و « مفيش » و « القصر » و « القبة » و « رأس القلب » و « رأس الخنزير » و « الفوارة » و « قلعة العزيزة » و « لازيزا » أى قصر العزيز ، و « قلعة الحسن » و « قلعة البلوط » و « الله » و « موسين » أى « رياح الموسم » و « دار سينا » أى دار الصناعة و «أمارا» أى «أمراس» بمعنى الحبال القوية ، واليها أشار امرؤ القيس ببيته المشهور :

كأن الثريا علقت فى مصامها
بأمراس كتان الى صم جندل

وهذا غيض من فيض الكلمات العربية التى تسود جزيرة صقلية حتى اليوم فلا عجب أن قال «رينالدى» ان الجزء الاعظم من الكلمات العربية الباقية فى الايطالية والتى تفوق الحصر لم تتسرب الى اللغة الايطالية عن طريق الاستعمار العربى وانما تسربت اليها عن طريق المدنية العربية التى كثيرا ما تؤلف بين مظاهر الحياة المختلفة .

وبعد أن أحصى رينالدى كثيرا من هذه الكلمات وبخاصة فى العلم والهندسة والموازين والمكاييل والبحرية قال : « ان جنوة اضطرت أن تؤسس مدرسة لتعليم اللغة العربية عام ١٢٠٧ م » .

والى أى مدى مدن العرب أهل صقلية وحضروهم وثقفوهم أحسبنا فى الاجابة عن ذلك قول «جوستاف لوبون » : « ان التحسين الذى يدخله شعب على شعب هو معيار نفوذ الحضارة التى يحملها الأول الى الآخر »

ولولا قسوة الظروف واضطراب الاحوال وقصر المدة التى مكثها العرب حكاما على هذه الجزيرة لوصل التحسين العربى والتمدين العربى بها الى أبعد وأعظم مما وصل اليه وقاربت أو فاقت مدنية العرب فى صقلية مدنيتهم فى الاندلس .

وهكذا الأيام يداولها الله بين الناس ورحم الله أبا عبادة البحترى اذ يقول :

والدهر ذو دول تنقل فى الورى
أيامهن تنقـــل الأفيـــاء

أما بعـد ٠٠ فكم هو عجيب معيب ، ان يعنى الأجانب والمستشرقون بالبحث الجـاد ، والتنقيب الموصول ، فى أطواء مدنيتنا العربية ، وحضـارتنا الاسلامية بصقلية ، عناية فائقة ، ليس لنا منهـا نصيب مع الأسف الشديد ٠٠!!

لقد سالت أكثر من مرة فى دار الكتب المصرية عن ديوان ابى محمد عبد الجبار بن حمديس الشـاعر الصقلى كما سالت عنه فى كثير من المكتبات العامة والخاصة ، ولاسيما مكتبـات الجامعات المصرية والأزهرية .. فلم اعثر له على اثر ، وتبينت ــ وباللحسرة ــ ان هذا الديوان لم يطبع كاملا فى مصر حتى الآن ، وان طبعت منه بعض المختـارات . وذكرت ــ وما امر الذكرى ــ ان العـالم البحاثة جورجى زيدان ، قال فى الجزء الثـالث من كتابه الخالد « تاريخ آداب اللغة العربية » : ان ديوان ابن حمديس الصقلى طبع فى بالرم عام ١٨٨٣ كما طبع فى رومية عام ١٨٩٧ م ٠

ولم يقل لنا سيادته : باية لغة طبع ؟ ونقول طبع باللغة الايطالية ، وبعض اللغات الاجنبية الاخرى ، وهانذا اهيب بوزارة الثقافة والارشاد أن تسـارع الى طبع ديوان هذا الشاعر باللغة العربية ، بعـد عثورها عليه مخطوطا ، أو تسارع على الاقل فتترجه من الايطالية أو غيرها الى اللغة العـربية التى عاش لها وبها ومات عليها هـذا الشاعر عام ٥٢٧ هـ فى جزيرة « مايورقة » ٠٠٠ لا سيما وأن هذا الشاعر الصقلى ــ كما قال الدكتور أحمد ضيف فى محاضراته الجامعية ــ : « له صبغة خاصة فى شعره ليسـت معروفة كثيرا فى الشعر العربى » ٠

واستمعوا معى ــ على سبيل التمثيل لا الحصر ــ اذ يقول عقب نكبته بالنورمانديين الذين فجعوه فى وطنه الحبيب ، وأخرجوه من فردوسه ظلما وعدوانا:

ذكرت صـــقلية والأسى
يهيـــج للنفس تذكارها

ومنزلة للتصـــابى خلت
وكان بنو الظرف عمـارها

فان كنت أخرجت من جنة
فانى احـدث اخبارها

ولولا ملوحـــة ماء البكاء
حسبت دموعى انهـارها

فمتى تجفف دموع ابن حمديس وزملائه من شعراء صقلية وعلمائها وأدبائها وأعلامها ٠ بعـد أن ظلت تنهمر ــ ومازالت ــ منذ تسعة قرون ٠٠؟! ومتى نرى فى مكتباتنا العامة الكبرى جناحا خاصا بصقلية وتراثها وماضيها العربى العريق ٠٠٠؟ ومتى يتوافر اساتذة التاريخ والأدب فى سـائر بلادنا العربية ، على العناية الكافية بهذا التراث العربى الصقلى، ولهم اسوة حسنة ــ وعفوا ومعـذرة ــ فى المستشرق الايطالى ميخائيل امارى مؤلف « المكتبة الصقلية » فى مجلدين حافلين ؟ الم يكن الأزهر الشريف هـو الأولى بعمل هذه المكتبة الصقلية ، وفاء منه للقـائد العظيم جوهر الصقلى بانى الأزهر الشريف ٠٠؟

وحيا الله اساتذتنا الأمجاد الذين استجابوا لوعيهم الباطنى فى تاريخهم العـريق وتراثهم المجيـد ، فاضاءوا بعض المشـاعل على الطريق الى صقلية ، لا يبغون من وراء ذلك جزاء ولا شكورا ٠٠ وأخص من هؤلاء الأساتذة الاعلام : استاذنا الرائد الأمين امين الخولى ، ومؤرخنا الفذ العظيم : محمد عبـد الله عنان ، ومؤلفنا البحـاثة الغيور : محمد كرد على صاحب « الاسلام والحضارة العربية » ٠٠ جزاهم الله عن المدنية العربية ، والتراث الاسلامى خير الجزاء ٠٠

الا قد بلغت ٠٠٠ اللهم فاشهد ٠٠ !!

أعلام منسيون

محمد تيمور

بقلم أنور الجندي



المرحوم
محمد تيمور

اذا ذكرت اليوم « **المسرحية العربية** » بعد أن بلغت أوج نضجها واكتمالها فنيا ، فلابد أن يذكر ذلك الكاتب الذي كان أول من كتب مسرحية مصرية « **محمد تيمور** » . ذلك الشاب الذي انطوت حياته في مثل عمر الزهر ، وقبل ان يبلغ الثلاثين والذي خلف في هذه الفترة القصيرة طلائع أعمال جديدة في الأدب والمسرح غير مسبوقة .

وكأنما كان محمد تيمور يحس بقصر عمره ، فكانت أعماله أشبه بأعمال من يزمعون سفرا ، أو تسوقهم نهاية مجهولة ، يبدأ في مجالات متعددة ، ثم يدعها الى غيرها متنقلا ، كأنما يخطف الأمور خطفا . فهو شاعر وكاتب مسرحي وناقد وصحفي ومترجم ، وله مسرحيات وقصص مؤلفة وقصص مترجمة ، ومقالات في النقد المسرحي ومقالات وطنية وأبحاث عن تطور المسرح الفرنسي وقد خلف من بعده أعمالا كثيرة لما تكتمل في مجال التأليف والترجمة ، وكأنما كان يعلم أنه لن يطيل الاقامة ، فاختصر الرحلة ، وترك لمساته هنا وهناك ..

ولقد كان محمد تيمور نبتا غريبا في بيئته الارستقراطية الموسره ، فلم يلبث ان خلفها وهام على وجهه مع صحبة الفن ، فنزل الى الشارع ، ومضى يسمع شاعر الربابة ، ويزور (تياترو السرك) ويحضر روايات (مسرح الكلوب المصرى) ولم يلبث ان اشتغل في دار التمثيل مؤلف روايات ، بل ممثلا فقد اعتلى خشبة المسرح وكتب اسمه في سجل هؤلاء الفنانين الاول ..

وهو من اجل حبه الذي لا حد له للفن ، تحول عن الدراسة التي وجهه اليها والده العظيم (أحمد تيمور) حين بعث به الى فرنسا لدراسة القانون ، واتجه الى الفن وسجل ذلك في مذكراته « جاء الى باريس ليدرس الحقوق ، وما كان بنفسه ميل للعلوم والشرائع ، ولكن والده لم يسمح له بمغادرة القاهرة الا ليلقى بنفسه في احضان تلك العلوم ، فسافر وفي قلبه غصة ، ولكنه وطن نفسه على الدأب والعمل جامعا بين علوم الحقوق التي كانت تجشم نفسه مالا يستطيع احتماله وبين علوم الآداب التي يرى فيها مسكة الأمل وقرة العين .. »

وليس من شك في أن البيئة التي ولد فيها محمد تيمور ، والجو الذي عاش فيه كان يوحي بالاتجاه الى مجال الفكر والادب والثقافة ، ان قصر تيمور باشا في درب سعادة ، ومكتبته الضخمة ، وصحبته من العلماء والمفكرين ، وعمته « عائشة التيمورية » الشاعرة النابغة ، لا بد أن تكون هذه كلها قد فتحت الآفاق أمام هذا الشاب الطموح وأمام أخيه الأصغر « محمود » الى تطلعات الفكر والأدب ، من اجل هذا لم يلبث محمد تيمور أن قرض الشعر وكتب في الصحف ، وطالع دواوين الاقدمين : المتنبى والمعرى وابى نواس ، وتعلق بالتمثيل منذ الصغر فكان يتردد على (جوقة) الشيخ سلامة حجازى لمشاهدة رواياته ويقيم مسرحا في دارهم .

ولكنه الى ما قبل سفره الى أوربا عام ١٩١١ لم يكن يدري بعد ماذا يريد شأنه في ذلك شأن الكاتبين في مطالع الحياة ، فهو يكتب في « المؤيد » مقالات في نقد المجتمع ، ومقالات أخرى في الوطنية،

وفي مقالاته طابع السخرية والتصوير وبذور القصة ..

فهو يسخر من اسم شارعهم « **درب سعادة** » فيقول ان التنظيم اطلق عليه اسم السعادة بينما هو غارق في الأوحال ، وتعجبه صورة المقهى فيقول : « ما أجمل النغمات الموسيقية في قهوة « **ماتاتيا** » نغمات أحجار الطاولة ممتزجة بأصوات بائعي أوراق اليانصيب ، ما أجمل قهوة ماتاتيا وهي تنظر لحديقة الازبكية نظرة الهازئ » ، وتقول لها وهي تبتسم : انت شاسعة الارجاء ، كثيرة الاشجار ، طويلة الطرق والدروب ، وانا اضم تحت لوائي عددا من الناس لم تطأ أرضك بعد ربعه ولا خمسه ... »

ويمضي في رسم صورة الرجل الاسرائيلي الذي يبيع الفول المدمس ، وصور رمضان ورمل الاسكندرية والصيف ..

ثم هو ينظم الشعر ، ويعارض قصيدة البارودي « هو البين حتى لا سلام ولا رد » ، وهو شعر تغلب عليه في مجموعه رنة الحزن العميق ، وطابع الاحساس بالحرمان وأشواق اللوعة والغربة النفسية ..

هيئوا لي في باطن الأرض قبرا
ودعوني أنام تحت التراب

في ظلام القبور راحة نفسي
ومن النور شقوتي وعذابي

وادفنوا في التراب ديوان شعري
فوق قلبي المملوء بالأوصاب

فيه مكنون ما احتواه جناني
وعزيز فراق ذاك الكتاب

هو بعضي فهل اموت وانسى
في ظلام الحياة نور شبابي

ومن خلال هذه الصورة المبهمة الغامضة التي يعيشها محمد تيمور تبدو صورته النفسية وهو يزمع السفر الى أوربا ليتم تعليمه العالي ، فيتجه اولا الى برلين لدراسة الطب ، ثم لا يلبث أن يؤثر دراسة القانون في فرنسا على غير ميل لاحداهما فيمضي بين ليون وباريس ثلاث سنوات ، ثم يعود وقد اندلعت نار الحرب العالمية الأولى في صيف ١٩١٤ فحالت بينه وبين العودة ، هنالك بدأ حياته القصيرة في دنيا الفن والمسرح والتمثيل على نحو جديد ، غير ما عرف عنه قبل سفره الى أوربا ، ويرى كل الذين عرفوه في هذه الفترة ان سنوات أوربا الثلاث ، كان لهما أثر عميق في تكوينه الفكري والنفسي ، وفي تطوره وتحوله ، وفي الكشف عن شخصيته وطابعه الخالص .

وقد ظهر هذا في كتاباته نثرا ونظما ، وكان العمل الأول الذي أخذ به نفسه : تمصير القصة والمسرحية فلم يلبث أن اشترك في جمعية أنصار التمثيل ، وبدأ في اخراج (هملت) لشكسبير ، واعتلى بعد خشبة المسرح ، في دور (سيف الدين) في رواية ابراهيم رمزي « عزة بنت الخليفة » .

واستطاع صفوة من أصدقائه واترابه ان يكونوا « ندوة فكرية » ، كان من ابرز رجالها أحمد خيري سعيد ، تجتمع في حديقة محل « لبتون » غروب كل يوم ، ويؤمها هذا الرعيل من الشباب الطامح الساخط الراغب في نقل ثقافة الغرب ، وتعريب آثاره الفنية ، ولمحمد تيمور في هذه « الاكاديمية الصغيرة » دور واضح ، حيث يدور « عراك جدلي » طويل حول مفاهيم الفن والفكر .

وقد صور (خيري سعيد) دور محمد تيمور في هذه الندوة حيث يقول : ان المدرسة التي كونها محمد تيمور تركزت على أعمال العبقريين في الغرب والشرق في جميع العصور وقد كان « محمد » أحد افراد مدرستنا التي اسستاها منذ عقد الهدنة (١٩١٨) وكنا ساخطين عليه وهممت بنقده على صفحات الجرائد الادبية لوضعه الرواية (الممصرة) لجوقة محمد بهجت ، لاننا كنا نكبره ونقيسه الى مثله الأعلى .. على انني كنت أحترم تيمور لاعتداده بقواه ، وثقته بالجيل الحاضر ، وقد أثر في نفسي رأي تيمور فآمنت بآرائه ، واعتقدت أن الخطوة الاولى بعد (التعريب) لايمكن أن تكون الا (التمصير) وان التعريب لا يفيد الذي يقوم بعملية التمصير والتأليف ، بل يفيد الأمة في مجموعها .. »

وفي هذه الفترة اتجه تيمور الى العمل بكل قواه ، فألف روايات «العصفور في القفص» ، و «عبد الستار افندي » و « العشرة الطيبة » و « الهاوية » و «عرب رواية الأب ليونار واتجه الى النقد المسرحي ، فكتب فصولا عديدة في مجلة المنبر ١٩١٨ ثم أجرى ما اسماه محاكمة المؤلفين والروائيين : فحاكم فرح

أنطون وابراهيم رمزى ولطفى جمعة وخليل مطران فى مجلة السفور ، وجعل شكسبير رئيسا للمحكمة وموليير وجوتيه وكورنيل وراسين اعضاء .

وأصدر مع زملائه أصحاب الاكاديمية عديدا من الصحف الأسبوعية واستأجر جريدة السفور وأصدرها ثلاث سنوات .

وواجه فى عالم التأليف المسرحي والنقد معارضات وخصومات ، فقد كان يتطلع الى الفن الرفيع بينما كان المسرح اذ ذاك لا يقدم الا ما يضحك ويسلى .

يقول خيرى سعيد «ان رواية عبد الستار افندى» مثلت فى دار التمثيل العربى ، وكان أصدقاء المرحوم تيمور يوزعون التذاكر مجانا ، فكان الناس يهملونها اهمالا تاما ، لأن الرواية قطعة من الحياة البائسة التعسة ، صبت فى قالب سخرية وفكاهة ، ولكن الناس لا يحبون الفن لأجل الفن ، وانما يحبون الضحك والهزؤ الذى لا غاية له ولا مرمى وراءه ..»

وفى هذه الفترة نظم محمد تيمور كثيرا من المقاطع الشعرية الرقيقة ، متأثرا باللون المهجرى الذى كان يكتبه اذ ذاك أمين الريحانى وجبران خليل جبران وكتب مذكراته فى باريس ونشرها فى السفور ، كما بدأ كتابته فى تاريخ مصر والنيل بأسلوب قصصى مثير (نشر الفصل الأول منه فى سفور السنة الخامسة ١٩٢٠) كما كان يعمل اذ ذاك فى كتابة رواية مصرية بالفرنسية عنوانها (الفتوة) وقد أتم الفصل الأول منها ..

وقد وصفت فصوله فى النقد بالدقة والاتزان والصراحة والبعد عن المجاملة والتحامل، أما قصصه فقد انتزعها من واقع الحياة وصميم المجتمع ، متأثرا بالدعوة الى « المصرية » التى كانت طابع الدعوة الوطنية اذ ذاك فى مواجهة الاستعمار والاحتلال . وقد اراد أن يدلل بأعماله المتعددة على امكان ظهور قصة عربية تغنى عن الترجمات للقصص الغربى (الذى لا يمثل مشاعرنا ولا يصور حياتنا .)

وقد صور فى قصصه مشاكل مجتمعنا ، ففى قصة « العصفور فى القفص » رسم صورة لفساد أسلوب التربية القاسية حين يسرف الاب فى القسوة على ابنه ، وفى قصة « عبد الستار » صور استبداد الزوجة الجاهلة ، وضعف الزوج الطيب .

وكان محمد تيمور أول من نادى بأن لغة المسرح غير لغة الكتابة ، ومن الرواد الذين دعوا الى تصوير المجتمع المصرى تصويرا واقعيا ، وكانت قصصه وأعماله كلها محاولات تهدف الى تأكيد قدرة الأدب العربى على تقديم قصة فنية تضم تجربة كاملة ، وان فى صميم المجتمع المصرى صورا وأحداثا صالحة لكتابة القصة ، وان استحياء البيئة المحلية يحقق نتائج بعيدة المدى فى خلق القصة العربية .

وقد التقط هذا الخيط وسار فيه من بعد ولمع : محمود تيمور وزكى طليمات ويحيى حقى وكثيرون.

وكان من فرط ايمانه بالمسرح يحاول أن يكسب له من كل بيئة ، لقد ذكر الشيخ التفتازانى شيخ الطرق الصوفية : ان محمد تيمور اغراه وحاول جره الى اعتلاء خشبة المسرح وانه كاد يفعل لولا وقار المنصب ..

***

ومع هذا النجاح الذى حققه **محمد تيمور** فى مجال العمل الذى أحبه ، وتجرد له ، فقد ظل منطويا حزينا ، يغلب عليه طابع الألم النفسى العميق ، ففى احدى رسائله من باريس الى شقيقه محمود تيمور يقول :

أخى محمود : قمت من فراشى فى الصباح ونظرت من النافذة راجيا ان ينكشف عنى ذلك الهم القاتل الذى أحس به يدب فى قلبى دبيبا ، فاذا بالسماء سوداء اللون ، واذا بالغيوم تتكاثف فى الجو فخشيت ان تسيل المعصرات وتسقى أرض باريس ماء ثجاجا .. وما كان أحوجنى فى تلك الساعة الى شىء جميل يطلق عنى وثاقى ويدخل السرور الى قلبى .. »

ونذهب لنسأل صديقه خيرى سعيد عنه فيقول : كان اذا جلس اليك خلت ان به لوثة خفيفة هى لوثة اهل الفن ، .. وكانى أرى جبينه وقد أزيح عنه الطربوش المائل الى الوراء قد اتصل اشراقه بالسماء .. »

والحق أن تيمور وزملاءه ممن تصدروا مجال العمل الأدبى فى هذه الفترة كانوا يعانون صراعا نفسيا ضخما بين واقع الحياة التى يعيشونها والآمال التى يتطلعون الى تحقيقها ، وكان الظلام اذ ذاك لايزال يمد بساطه ، والحركة خطوها وئيد ، فلاشك ان هؤلاء كانوا شموعا تحترق وهى تضىء فلنتذكرهم اليوم ، ولنتذكر هذا الشاب الذى مضى فى الثلاثين ربيعا فى ٢٤ فبراير ١٩٢١ .

الراتنجات الدوائية
في تذكرة داود الانطاكي

بقلم احمد سعيد الدمرداش

تمهيد

محنة صادفت القس السوري نسطوريوس ، ما فتئت أن سببت ازدهار العلوم الهيلينستية فى انطاكية ، كان بطريركا على القسطنطينية عام ٤٢٨م حينما تكاتفت عليه قوى الرجعية فطردته من منصبه ، فهاجر هو وأتباعه النساطرة الى بلاد الشرق الواسعة ، متخذين لهم مراكز اشعاعية فى اديرة انطاكية والرها وجنديشابور ، وتوفى هو بصعيد مصر .

وما وافى القرن السابع الميلادى حتى كان للنساطرة أكثر من خمسين مدرسة للطب والعلوم الفلسفية ، من رياضيات وطبيعيات ومنطقيات والهيات ، فى جزر منعزلة وسط امبراطورية آل ساسان ، كل سرب نسطورى قد تلاقى فيها واحتشد .

وترجمت مؤلفات ابقراط وفيثاغورس وارسطو الى اللغة السريانية ، ومن أشهر مترجميهم سرجيوس الرأس عينى ، وتيودورس الطبيب . ثم غمر الاسلام هذه الجزر التى كانت تضج بالعلوم الهيلينستية ، فبعث فى انطاكية روحا جديدة كانت لها رى ، اما جنديشابور على الجانب الآخر من الخليج العربى بايران ، فقد ترعرعت فيها أسرة بختيشوع الطبيب المرموق لدى الخليفة العباسى « المنصور » ، واستمرت زعامة هذه الأسرة فى العلوم الطبية زهاء ستة أحقاب حتى عام ١٠٠٦ ميلادية .

فليس بغريب اذن على انطاكية فى مدى الزمان الوجودى ، أن تنجب علماء فى الحكمة ، طالما كانت هناك ديمومة فى العرفان المتراكم ، وفى عام ٩٥٠ هجرية ولد شيخنا الضرير داود بن عمر الانطاكى من أصل سورى بانطاكية ، وحفظ القرآن ولما يبلغ السابعة من عمره ، ثم توفى والده فانتقل الى دمشق ثم الى البلاد الاخرى الشامية ، مجتمعا بحكمائها وعلمائها ، يأخذ العلم عنهم فى قدرة عجيبة وذاكرة لماعة . لقد سبق لسوريا ان انجبت ضريرا آخر هو أبو العلاء المعرى شاعر المعرة ، كلاهما كان يتمتع بعقل موسوعى جبار ، أحدهما فى اللغة والشعر والثانى فى الحكمة .

ثم انتهى المطاف بشيخنا داود الأنطاكى الى مصر ، وهى البلد الطيب ، فأقام بها ما وسعه المقام يصنف الكتب ، مثل ما حدث للعالم العراقى الحسن بن الهثيم حيث هاجر الى مصر وسكن بجوار الجامع الأزهر ، يكتب فى علم المناظر ، ويؤلف البحوث المبتكرة فى علم الفيزيقا .

ومن أشهر مؤلفات داود الانطاكى ما يلى :-

١ - تذكرته المشهورة وهى « تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب » .

٢ - كتاب البهجة والدرة المنتخبة فى ما صح من الأدوية المجربة .

٣ - كتاب غاية المرام ونزهة الادهان فى صلاح الأبدان .

٤ - شرح قصيدة ابن سينا الذى يتكلم فيها عن النفس .

٥ - رسالة فى الهيئة وكفاية المحتاج فى علم العلاج .

وتوفى شيخنا داود بمكة اثر اسهال حاد ، وقيل مسموما وحدث ذلك عام ١٠٠٨ هجرية ، وكا شيعيا شديد التشيع ، مخالفا لمذهب أهل السنة فى كثير من الأمور والعقائد .

والآن دعونا نقبض قبضة مما كتب فى العطارات الدوائية التى ذكرها فى تذكرته وهى :

الكندر - المر - الجاوى - البلسم - الحنتيت - الميعة السايلة - المصطكى - الكثيرا - العنبر - قنا دشق - سكبيج - قلفونيا - كهرمان - والينابيع التى استقى منها مراجعه مصدرها ما يلى :-

(ا) كتاب العقاقير البسيطة للفاضل الحكيم جالينوس .

(ب) كتاب « كناشة فى الطب » للعالم اهرن القس .

وقد سبق لهذه المراجع أن ترجمت من اليونانية أو السوريانية الى العربية ، فعمد داود الى نقلها مع

الزيادة والتعديل فيها ، مستعينا بمؤلفات من تقدمه من حكماء العرب ، مثل كتابي « الحاوي في الطب » و « الاقرباذين » لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي ، وكتاب « الجامع لمفردات الأدوية والاغذية » لضياء الدين بن البيطار ، وكتاب « الأدوية المفردة » للعالم الاندلسي الكبير أبي جعفر أحمد بن محمد بن السيد الغافقي .

« الكندر »

يقول داود في تذكرته عن الكندر ما يلي :

« الكندر هو اللبان الذكر صمغ شجرة نحو ذراعين تنمو بجبال اليمن ، الذكر منه المستدير الصلب الضارب الى الحمرة والأنثى الأبيض الهش، يحبس الدم ويصفي الصوت ، وينقي البلغم خصوصا مع المصطكى ، ويقطع الرائحة الكريهة وعسرالنفس والسعال والربو مع الصمغ أو الكثيرا ، والرياح الغليظة ورطوبات الرأس بالعسل أو السكر ، وامراض الأذن بالزيت مطلقا ، ويزيل القروح كلها باطنة كانت أو ظاهرة شربا وطلاء ، والغثيان والقيء بالصمغ ، ودخانه يطرد الهوام ، ويصلح الهواء والوباء والوخم ، واكثاره يحرق الدم ، والذي يلتهب منه مغشوش ينبغي اجتنابه » .

هذا ما كتبه داود فلنقارنه بما كتبه ابن سيناء في قانونه :

« الكندر صمغ شجرة لا غير ، وقد يكون بالبلاد المعروفة عن اليونانيين بمدينة الكندر ، وقد يكون أيضا ببلاد الهند ولونه الى اللون الياقوتي ، وهو بعد زمان طويل يصير لونه الى الشقرة وأجوده المسمى الذكر ، وقد يكون الكندر ببلاد العرب وهو دون الاول في الجودة ، وهو حابس للدم والاستكثار منه يحرق الدم ، مدمل جدا وخصوصا الجراحات الطرية ، ويمنع الخبيثة منها من الانتشار ، ويصلح القروح الكائنة من الحرق وينفع الذهن ويقويه ،ومن الناس من يأمر بادمان شرب نقيعه على الريق والاستكثار منه مصدع ، ويدمل قروح العين ،ويقطع سيلان الرطوبات الفاسدة ويحبس القيء ، وقشاره يقوى المعدة ويشدها وينفع من الحميات البلغمية » .

وعلم النبات الحديث يوافق داود وابن سينا في كون الكندر افراز صمغي لنوع من الاشجار المختلفة، تتبع فصيلة أشجار اللادن التي يطلق عليها تفرزها الاشجار فوق الجزء المجروح منها دفاعا عن نفسها ضد الحشرات التي تهاجمها ، والصورة المنشورة توضح كيف يقوم الاهالي بازالة بعض لحائها بطول ٤ ـ ٨ سم في أماكن مختلفة منها بآلة يسمونها «المنجاف» في أواخر شهر مارس أو ابريل حتى نهاية شهر سبتمبر وفي بعض الانواع الاخرى حتى نهاية شهر ديسمبر في أشهر الجفاف حيث أن الامطار تتلفها .



وتنمو هذه الاشجار في الصومال وجنوب الجزيرة العربية والشمال الشرقي لافريقيا وتصدر الى عدن وبومباي فهي مراكز لتجميعها ، ويستمر استغلال شجرة اللادن مدة ست سنوات ثم توقف عملية تشريطها حتى تستريح ، والدفوع التي تسيل منها تتصلب بعد أسبوعين من مواضع التشريط ، وهي مشفة ذات لون أصفر واذا احتوت عروقا معتمة فهي من النوع المنخفض القيمة .

ولا يزرع الاهالي هذه الاشجار بل تسقط بذورها فوق الصخور ، أو تذروها الرياح فتنبت بمفردها .

وللكندر رائحة عطرية مقبولة وطعم فيه شيء من المرارة قليل ، وهو يتركب من ٦٠ ـ ٧٠٪ راتنج ونحو ٣٠٪ من الصمغ ، ٣ ـ ٨ ٪ زيوت طيارة .

واهم المركبات التي تدخل في تركيب الكندر مركب عيدروكربوني يعرف بالاولبين «ك١٠ يد١٦» وبتقطير هذا الصمغ نحصل على زيت قريب الشبه

بزيت التربنتين كثافته ٨٧٥ر – ٨٨٥ ر – جم ويذوب في كل من الأثير والكحول .

والطب الاوربي لا يؤمن بفائدة الكندر رغم ثبوت فائدة منقوعه في الماء في ازالة السعال ، ولكنه يكتفي في ادخاله في تركيب كثير من الضمادات (اللزقات) والتبخير ضد العدوى ، ويستخدم في الكنائس والبلاد الشرقية في البخور مع أنواع أخرى .

« المر »

ذكره داود كما يأتي :

المر هو السمرى في المقالات ، وهو معروف مشهور بسيل من شجرة بالمغرب كأنها القرظ ، تشرط بعد فرش شيء تسيل عليه في طلوع الشعرى ، فيجمد قطعا الى حمرة صافية ، تتكسر عن نكت بيض في شكل الأظفار خفيفة هشة، وهذا هو الجيد المطلوب، ويترجم بالمر الصافي ، ومنه ما يوجد على ساق الشجرة وقد جمد كالجماجم ، وهذا هو المعروف بمر البطارخ ، لانه يحكي بيض السمك في دسومته وصفرته ، وليس بالرديء ، ومنه ما يعصر فيسيل ماء ثم يجمد مائلا الى السواد ويحكي الميعة السائلة، ويسمى المر الحبشي ، وهو دون الثاني ، ومنه صنف يؤخذ بالطبخ والتجفيف قوى الزهومة والحدة والصلابة والسواد ، وهو قتال فليجتنب من داخل وتبقى قوته لسائر أجزائه عشرين سنة .

وهو حار في الثالثة يابس في الثانية ، عنصر جيد وركن عظيم في المراهم والأكحال على اختلاف أنواعها ومنافعها ،وهو ينفع سائر النزلات والصداع، ويشد اللثة ويزيل قروحها وأوجاع الاسنان بالخمر والزيت مضمضة ، والسعال وأوجاع الظهر وخشونة القصبة استحلابا في الفم ، والرياح وأوجاع الكبد والطحال والمفاصل والنقرس والسموم شربا وطلاء ، ويطرد الهوام بخورا مع الكندر ، ويحفظ الموتى طلاء، واعلم انه يشارك كل دواء فيما أعد له فيساعد الكبريت في الجرب ، ومع دهن اللوز المر أمراض الأذن ، ومع النعنع أمراض الأنف ، وهو يضر المثانة ويسقط الأجنة » .

هذا ما كتبه داود فلنقارنه بما كتبه ابن سينا في قانونه :

صمغ منه خالص ومنه مشوب مغشوش ، أجوده ما هو الى البياض والحمرة ، غير محفوظ بخشب شجرته ، طيب الرائحة ، محلل للرياح ويقع في الأدوية الكبار لكثرة منافعه ، ويمنع التعفن حتى انه يمسك الميت ويحفظه عن التغير والنتن ، واذا خلط بدهن الآس فانه يجلو آثار القروح ويبرء الجراحات المتعفنة ، ويلطخ بالشب على الآباط فيزيل صنانها .

قال جالينوس : رائحة المر تصدع الأصحاء فضلا عن المصروعين ، وهو يطيب نكهة الفم ، ويتمضمض به بشراب فيشد الأسنان جيدا ، ويقويها ويمنع تأكلها ويشد اللثة ، وينفع المر الخالص استرخاء المعدة ، ويخرج الديدان لمرارته ، ويشرب لقروح الأمعاء والاسهال » .

وعلم النبات الحديث يرى أن أشجار المر تتبع ماية وستين نوعا يطلق عليها فصيلة البلسم وجميعها افريقية ما عدا اثنى عشر نوعا منها تنبت في جزيرة العرب والهند .

والمر راتنج عطري يسيل من الاشجار بعد تشريط سيقانها ، وتتجمد عند تعرضها للهواء ، وهو يتركب من ٢٥ – ٤٠ ٪ مواد راتنجية ، ٥٧ – ٦١ ٪ صمغ، ٥ر٢ – ٨ ٪ زيت طيار ، ومركبات أخرى أهمها حمض الكوميفوريك ، واسترات هذا الحمض مع بعض الكحولات ذات الأوزان الجزيئية الكبيرة ، ويحتوى الزيت الطيار على الالدهيد ١٠ك ١٢يد ٢أ، واليوجينول ١٠ك ١٢يد أ ، وحمض خليك وحمض نمليك وبعض الكريسولات .

وللمر رائحة عطرية زكية ، ولذا يدخل في تركيب كثير من أنواع البخور ، ويستخدم أيضا في عمليات التصبير والتحنيط ، وأهم مزاياه الطبية انه يقوى المعدة ويعمل على طرد الغازات منها ، كما أنه يفتح الشهية ويساعد على افراز العصارة المعدية ،ويضاف الى بعض المسهلات أحيانا كي يمنع المغص الذي يصحب تناولها .

وهناك نوع من المر يستخرج من الصومال يطلق عليه (هاباك وتكل) يستخدمونه في سم الفهود .

وكان قدماء المصريين يستوردون المر من بلاد بونت لاستخدامه في التحنيط وأنواع البخور .

ولا يتسع المجال هنا للمزيد من دراسة هذه الراتنجات ، فقد نعود مرة أخرى لهذا الموضوع .



مسئولية الفنانين بعد الثورة

بقلم عبد الفتاح البارودى

ان الفنانين الذين لم يتطوروا - بسبب جهلهم وعدم شعورهم بمسئوليتهم الفنية - ليس عدم التطور فقط هو الاتهام الوحيد الذى يوجه اليهم ، وليست تفاهة انتاجهم فقط هى المصيبة الوحيدة التى يوجهونها الى الفن .. لو كان الامر كذلك لأهملناهم وأهملنا انتاجهم.. ولكن المشكلة الحقيقية هى أنهم - أيضا - عقبة ضخمة فى طريق التطور.. لماذا ؟!

لانهم يحتشدون فى الحقل الفنى وكأنهم توارثوه، ولانهم يتساندون بدافع مصالحهم الفردية المشتركة، وبحكم التفاهة المشتركة ، ويجتذبون اليهم كتابا فى مستواهم يقيمون حولهم ضجة جوفاء ، وهذه الضجة تكاد تحجب عن الناس الانتاج الفنى المرتفع المستوى الذى يقدمه أى فنان مثقف .

فى الماضى كانوا يعملون بمقاييس خاطئة ، وكان هذا منطقيا مع ظروف الماضى ، فلما تغيرت حياتنا كان يجب أن تتغير مقاييسهم الى مقاييس فنية ، ولكنهم لم يغيروها ، لان تغييرها يحتاج الى علم .. من أجل ذلك ظلت مقاييسهم القديمة ، و «بالفهلوة» المعهودة فيهم ولكنهم أوهموا كثيرين أنهم تطوروا بالمقاييس وبالانتاج ، والحقيقة أن هذه التطورات مظهرية ومرتجلة ... ولهذا ظهرت ابتداعات كثيرة ولكنها سطحية ، وظهرت مفهومات كثيرة ولكنها زائفة .

اصبحنا نسمع مثلا أن « الفن موهبة » ، لان المواهب من السهل ادعاؤها .. وأصبحت «الشهرة» من علامات العبقرية ، لان من المتعذر عليهم اثبات عبقريتهم بالانتاج الفنى .. الخ . ماذا نفعل لمعالجة هذه المشكلة ؟!

أمامنا حلول كثيرة ، ولكن المهم هو أن يتحمل الفنانون والمشتغلون بالفن والمفكرون مسئوليتهم عن تنفيذ هذه الحلول بالدعوة لها والمطالبة بها ومتابعة تنفيذها ... ان الهدف هو مكافحة التخلف الفنى، بالوعى القائم على المناقشة المستنيرة ، وبالمناقشات المؤدية الى الاقتناع ، وبنشر العلم والشعور بالمسئولية بين الفنانين .

فى الفن الغنائى مثلا مطلوب من المشتغلين بهذا الفن أن يدركوا أن المقاييس الارتجالية التى كانت سائدة فى فن المجتمع الماضى اصبحت غير صالحة للفن الجديد الذى نريده فى المجتمع الجديد ... مطلوب نقل الاغانى من التهويمات والتشنجات « والوشوشة » الى أغان تعبر عن الناس والحياة .. ومطلوب نقلها من الذاتية المريضة الى الموضوعية ، ومن الزخرفة الى التعبير ، ومن الاشكال المختلطة المرتجلة الى تشكيلات علمية ... لن نضع فيها مادة علمية أو لوغاريتمات مثلا، ولكن نضعها فى «الفورم» الفنى ... لقد ظهرت الحاجة الى هذه النقلة العلمية

منذ ان قامت ثورة ٢٣ يوليو واقامت مجتمعنا الجديد على أسس علمية ٠٠٠ ولقد تأكدت هذه الحاجة - بالنسبة للاغاني - بعد أن تأكد عجز الملحنين خلال ١٢ سنة - عن تلحين أغنية واحدة يمكن ان يرددها الشعب ٠٠٠ ويكفي أنهم في حفلات عيد الثورة في الشهر الماضي قدموا أغاني أقل ما يقال فيها أنها غير ذات «ستوى فني ٠

في هذه الاغاني ظهرت مفهوماتهم الخاطئة لمعنى التطور الفني ٠٠ انهم يتوهمون أنهم تطوروا لمجرد استخدام «الكورس» والترزيع والمايسترو ، ولكن كيف استخدموها ؟!

بالنسبة للكورس مثلا رأينا الملحنين يضعون أنفارا خلف المطرب أو المطربة لترديد ما يغنيه أو تغنيه ، أو لاحداث ضجة غنائية ٠٠٠ وهذا خطأ واضح ٠٠ لان الكورس عنصر له كيانه المستقل ، ويجب أن يكتب له الملحن جملا موسيقية خاصة به ، وهذه الجمل تتفاعل مع الجمل التي يؤديها المطرب أو المطربة في « حوار فني » ان هذا يحتاج الى دراية بوظيفة الكورس، ولكن أين الملحنون الذين يعرفون هذه الوظيفة ؟!

وبالنسبة للتوزيع يجب أن يدرك الموزع الموسيقي ان عملية التوزيع هدفها أن يغتني اللحن باضافات معينة لها اشتراطات معينة ، ومن هذه الاشتراطات الا تطغى الاضافات على « الميلودى » مثلا ، ولكننا رأينا في هذه الاغاني أن التوزيع كان مجرد تضخيم للأنغام ، لدرجة أنه استخدم في الجمل الميلودية والايقاعات الراقصة ٠

وبالنسبة لعملية المايسترو ، وهي عملية قيادة الاوركسترا رأينا مشاهد مضحكة ٠٠٠ المفروض ان الاوركسترا يعزف حسب « نوتة موسيقية » مكتوبة لمختلف الآلات ، وكل مجموعة من الآلات لها «نوتة» خاصة بها ٠٠٠ والمفروض أيضا أن المايسترو يقود حسب نوتة موضوعة أمامه مدونة فيها كل «النوت» وهو في قيادته مسئول عن ضبط دقة العزف ، اي مسئول عن مجموعات الاوركسترا كله ٠٠٠ وهذه عملية شاقة ودقيقة ، والمايستروهات في العالم كله « يذاكرون » المقطوعات التي يقودونها لضمان أداء هذه العمليات كلها ٠٠ ولكن المايستروهات الذين رأيناهم في أغانينا لاحظنا أولا أنهم يعملون بلا « نوت » ، ويقودون بلا عصا ، ويحركون أيديهم حركات تثير الضحك كأنهم يؤدون حركات حمبازية !!

ان هذا يؤكد أننا لا تدرى معنى العزف الفني ولا التأليف الموسيقي ولا النوت الموسيقية ٠٠٠ وهذا منطقي ٠٠ لان معاهدنا الموسيقية لا تهتم بتدريس فن التأليف الموسيقي ٠٠ واذن فالمطلوب من هذه المعاهد أن تغير مناهجها تغييرا علميا ٠٠ ان معاهدنا تدرس العزف بأسلوب ارتجالي ، ولهذا تخرج عازفين ارتجاليين لا يكادون يقرأون النوتة الموسيقية ٠٠٠ ومن الضروري وضع منهج لتدريس التأليف ، وهذا المنهج يقتضي تدريس مختلف الفنون المتعلقة بذلك ٠٠٠ لقد زار بلادنا منذ سنتين الموسيقار العالمي خاتشادوريان ، وعقد مع الموسيقيين اجتماعات كثيرة قال فيها انه بعد أن درس الموسيقى دراسة عادية التحق بأحد الكونسرفاتوارات ودرس فيه فن العزف لمدة ست سنوات ، ثم التحق بكونسرفاتوار آخر ودرس فن التأليف لمدة ست سنوات أخرى ٠٠٠ ان هذا هو ما يتبعه اي موسيقار في الخارج ، بينما في معاهدنا لا تزيد الدراسة كلها على ثلاث أو أربع سنوات ، فضلا عن أن مناهج الدراسة نفسها ضعيفة المستوى ٠

ومطلوب من الاذاعة والتليفزيون والاجهزة الفنية التي تنشر الانتاج الغنائي والموسيقي الا تسمح باذاعة او نشر أي انتاج غير مدروس ٠٠٠ ان الاذاعة - مثلا - بسبب الحاحها على نشر الاغاني الفردية الهزيلة ساهمت في تحريف مزاج الجمهور ، وفي اعطاء الشهرة المفتعلة لموسيقيين من أنصاف المثقفين، وهذا تعبير مهذب لمستواهم العلمي الهابط ٠٠ ان من واجب الاجهزة الفنية أن تساهم في مكافحة هذه الامية الفنية عن طريق فحص الانتاج الغنائي فحصا دقيقا قبل أن تقرر اذاعته ، والا فانها ستكون سببا في استفحال خطورة الانتاج غير المدروس ٠

ومطلوب اعادة المسرح الغنائي بشكل مدعم فنيا ٠٠٠ لان هذا المسرح بتقديمه للاوبريتات مثلا سينشر الوعي الموسيقي والغنائي بحيث يقضي أو يساهم في القضاء على تفاهة الاغنية الفردية المريضة ٠٠ كيف ؟ ان الاوبريت بذاته عمل موضوعي وفن درامي ، واذن فتشجيع انتاج الاوبريت سيعطي نماذج حقيقية للألحان الموضوعية والدرامية ، وشيئا فشيئا سيدرك الناس الفروق الشاسعة بين الاوبريتات والاغاني ٠٠٠ ان الفنانين الارتجاليين يحاربون المسرح الغنائي لانه سيقضي على تفاهتهم ، واذا كانوا قد استطاعوا تحطيمه فعلا منذ ٤٠ سنة

فلا يجوز في مجتمعنا الجديد أن يتمكنوا من مواصلة محاربته ٠٠ ان تحطيم المسرح الغنائي القديم كان منطقيا ، لان المجتمع الماضى كان يسيطر عليه حكام ليس من صالحهم نشر الوعى الفنى ، أما الآن فان المجتمع الجديد يقوم على الوعي ، ولهذا يجب أن يعاد انشاء المسرح الغنائي ، وأن يوضع له تخطيط علمى بحيث يعيد تقديم أوبريتات العمالقة من امثال سيد درويش وداود حسنى وزكريا أحمد ، بعد تجديدها واخراجها فى أسلوب حديث ٠٠٠ أيضا يجب أن يشجع المؤلفون الدارسون على تقديم أوبريتات حديثة ، وعلى تعريب الاوبريتات والاوبرات العالمية على نحو ما حدث فى أوبرا لاترافياتا التى قدمت منذ عهد قريب ، وذلك لان هذه الاعمال العالمية تعتبر نماذج عملية يحتذيها الدارسون ٠٠ كما يجب أيضا أن يمهد لظهور فن الاوبرا ، وهذه خطوة وان كانت بعيدة نسبيا الا أن من اللازم أن تتجه اليها باعتبار أن الاوبرا هى أنضج وأرقى تشكيل موسيقى غنائى ٠

وفى الموسيقى البحتة مطلوب أيضا تشجيع المؤلفات المحلية وتقديم المؤلفات العالمية كنماذج تحتذى ٠٠٠ ان لدينا تجارب محلية سواء فى التاليف الاوبرالى أو التاليف السيمفونى ، ولكنها لا تجد مجال اخراجها للناس ٠٠٠ فمثلا بخلاف أوبريتات القدامى حاول بعض الدارسين تقديم أوبريتات وأوبرات أيضا ، وهى بالطبع محاولات لا ترتفع الى المستوى العالمى ، ولكنها محاولات ذات قيمة فنية ونحن أيضا لدينا سيمفونيات أو أعمال سيمفونية محلية ولكن لاتلقى عليها الاضواء الا بين حين وآخر ٠٠٠ ان الاوركسترا السيمفونى يجب أن يلزم مايستروهاته بتحضير الاعمال المحلية بنسبة خمسين فى المائة مثلا ليجد المؤلفون المحليون متنفسا لهم ، وخاصة أنه ليس أمامهم اى مجال آخر سوى هذا الاوركسترا ٠

ومن الممكن تقسيم الاوركسترا الى مجموعتين ، فقد بلغ عدد عازفيه الآن حوالى ١٢٠ عازفا ، ويمكن بسهولة أن تضم كل مجموعة ستين عازفا ، وتخصص احداها للاوبرا والثانية للسيمفونيات فهذا العمل فضلا عن أنه يتيح للدارسين الموسيقيين فرصة عزف مؤلفاتهم ، فانه أيضا يتيح للاوركسترا أن يطوف بمختلف المحافظات لنشر الثقافة الموسيقية فى أنحاء البلاد ٠

ويمكن أيضا أن تستمر مواسم الاوبرات والسيمفونيات طوال السنة بدلا من اقامة موسم واحد قصير جدا فى القاهرة فقط ٠٠ ومن الممكن اقامة حفلات للتوعية الفنية تقدم فيها المؤلفات الموسيقية وتقام أيضا ندوات فنية لمناقشة هذه المؤلفات ٠

كذلك من الممكن اختيار أحسن المؤلفات وطبعها على اسطوانات ليسهل نشرها فى بلادنا وفى الخارج، وليسهل سماعها ودراستها فى المعاهد الموسيقية ٠٠ وأيضا تمكن اقامة مسابقة بين المؤلفين الدارسين وتخصص لها جوائز مجزية ، فان هؤلاء المؤلفين لا يجدون جزاء مجهوداتهم ، بينما يتقاضى فنانو الاغانى التافهة جزاء ضخما ٠

هذه كلها اقتراحات ممكنة ، بل مطلوبة ، وكلها مطالب ليس من الصعب تنفيذها ، بل من الممكن تنفيذها فورا ، لو وضعت خطة فنية يبدأ العمل بها بعد انتهاء فترة عطلة الصيف مباشرة ٠

وفى المسرح أيضا مطلوب تدعيم الخطوات الجبارة التى قطعها النشاط المسرحى ٠٠ ان المسرح نهض نهضة ضخمة ، ولكنه من الناحية العلمية ، ومن الناحية الاكاديمية بصفة خاصة لا يزال فى حاجة الى خطوات أخرى ٠

ان من المتناقضات الواضحة ـ مثلا ـ أن تحدث هذه النهضة المسرحية دون أن تحدث نهضة مماثلة فى المسرح الجامعى ٠٠٠ مطلوب تدريس الفنون المسرحية فى الجامعات والمعاهد والمدارس كمادة رئيسية ضمن المواد التى يمتحن فيها الطلبة ٠٠٠ ان المسرح الجامعى فى أوروبا وامريكا وروسيا هو مجال الدراسة الفنية الاكاديمية، وهو معمل تفريخ الفنانين الدارسين ، وهو حقل تجارب الاعمال المسرحية الجديدة ، بينما عندنا لا نجد للمسرح الجامعى أثرا فى المحيط الاكاديمى أو المحيط الفنى ٠٠٠ وليس معنى التدريس الاكاديمى أن تنحصر الدراسة فى مدرجات المحاضرات ، بل ان الاكاديمية الحقيقية هى التى تنشر الروح العلمية فى الجامعات وخارجها ٠٠ وهذه المهمة مطلوب من جامعاتنا أن تنهض بها فى المجال المسرحى ، وخاصة أن المسرح هو أبو الفنون، ولا جدال فى أن نشر الوعى المسرحى سيؤدى الى نشر الوعى الفنى فى مختلف المجالات الفنية ٠

ان كل هذه المطالب أصبحنا نشعر بحاجتنا اليها، لاننا فى مجتمعنا الجديد نشعر بالمسئولية عن تصحيح كل الاوضاع ، فلماذا لا نبدأ التنفيذ فورا ؟!



٢ ـ مهيار الديلمى ٠٠ وأغانى مهيار الدمشقى

لقد وعدنا فى العدد الماضى أن نحدق فى وجه مهيار الدمشقى ٠

« **على أحمد سعيد : أدونيس** » بعد أن ملأنا عيوننا من وجه صاحبه القديم مهيار الديلمى ٠٠ ومن النظرة الأولى لأدونيس نحس أننا أمام شاعر له مذاق جديد فى الشعر المعاصر ، ذلك لأنه لا يصدر عن « تجربة سريعة خاطفة » وانما عن « نظام هندسى متكامل » عرف كيف يصل به الى حد « الرهافة » بحيث تكتم الكلمات أصواتها التقليدية وتعطى أصواتا جديدة هارمونية لانحسها تماما عند غير «أدونيس» ٠

ثم اننا نجد عنده هذا التوتر الذى يحس به الواقف عند «**خط النار**» والمدير ظهره للعالم ، ولقد اختار أدونيس هذا الموقف من الحياة ، وما زال عند هذا الموقف ٠

ومهما يكن من شىء فهو شاعر لا يمكن أن نجد فيه تأثير شاعر آخر ، ذلك لأنه ملتصق كأشد ما يكون الالتصاق « **بذاته** » ، ولأنه يرفض كل شىء مسبق ، ولا يتعاطف الا مع «**الموقف الساخن**» الذى يغزله بيده يوما بعد يوم وقصيدة بعد قصيدة ٠

وهو من أجل تأكيد هذا « **الموقف الشعرى** » نراه يرفض الحياة بماضيها وحاضرها ، ونراه يرفض ما فيها من قيم مهما تكن هذه القيم ، ثم يعكف على رسم خريطة جديدة للعالم ٠٠ فهو فى كل هذا يأخذ موقف الانسان « المنفى » من العالم الانسان الذى يرفض القيم الجاهزة ، ويرفض أن يكون فى العصر «رقما» أو «وظيفة» ، كما يرفض أن يكون هناك شىء ثابت «كاعتقاد» ومن هنا نراه انسانا يقف فى «ذاته» ليدين الماضى والحاضر ٠٠ انسانا يلتقى فيه نيتشه وسارتر واليوت ٠٠ انسانا يلخص وجهة نظره فى قوله :

« مسافر تركت وجهى على

زجاج قنديل

خريطتى ارض بلا خالق

والرفض انجيل »

واعتقد انه كان موفقا كل التوفيق حينما اختار «**مهيار**» ليكون لسانه العصرى الذى يتكلم به ، فهو هنا يستند الى شاعر عظيم سبقه بالاحتجاج ، وهو فى الوقت نفسه يثرى تجربته الشعرية ، ويجعل له قاعا يردد صوته ويكثف تجربته ٠٠ فاذا عرفنا أن الشاعرين يلتقيان ـ حسب اعتقادهما ـ فى الوطن المفقود ، والحضارة القديمة

الضائعة ، والرغبة في تخريب الحضارة الجديدة، وفي الشعور الحزين بالنفي غير المنظور ٠٠أدركنا أنهما وجهان لعملة واحدة ، بل أدركنا أنهما وجه واحد على اختلاف في الزمان والمكان !

على أن ما يلفت النظر هنا أن النقاد جميعا قد أجمعوا على أنه يمثل فكرة الرفض الخالصة كشكل ميتافيزيقي ، وانه ضد «التقبل» ، وأنه يقول لكل شيء «لا» على المستويين الكوني والحياتي ، ومن هؤلاء الدارسين حليم بركات ، عادل ضاهر ، وزكي نجيب محمود ، د ٠ أحمد كمال زكي ، أحمد عبد المعطي حجازي ، مجاهد عبد المنعم مجاهد ، كما أن « جاك برك » قد ذكر في مقدمة كتاب « مختارات من الادب العربي المعاصر » أنه في مقابل الكلاسيكية والرومانسية الثورية للجواهري ، وفي مقابل واقعية المصريين ٠٠ قامت في بيروت مدرسة تموز التي تعمل على التخلص من الفصاحة والظروف ، وتطارد - في الوقت نفسه أي نوع من العروبة تشتم منه رائحة التراث ، ثم يضع على رأس هذه المدرسة أدونيس *.

ولكن هل صحيح أن «أدونيس» يتحرك بهذه الشمولية ؟ وهل من الحق اعطاؤه هذا الاطار الفلسفي ؟ وهل وصل الى هذا الاطار فجأة - كما يحاول اثباته البعض - أم أنه وصل اليه عن طريق رفضه للحياة في وطنه سوريا ثم اطلالته الدائمة على هذا الوطن من بيروت ؟ أم أن أزمته لاتتعدى خلافه مع التيار العربي في المنطقة ؟ هذا ما سنحاول الاهتداء الى ملامحه ٠

ونحن لن نطارده بأنه ترك التيار العربي الكبير، الى تيار « القوميين السوريين » وانه ترك الاسلام الى المسيحية في احتفال مشهور في بيروت ، وأنه هاجر من سوريا حين تمت معها الوحدة ثم باع نفسه للشيطان ٠

ونحن لن نضعه في مواجهة آرائه المكتوبة التي تجعله يقبل التراث الجاهلي والمسيحي ويرفض التراث الاسلامي ، وتجعله يركز دائما على أن الحياة العربية ليس لها محور غير الانحطاط ، وأن العربي لا يخرج عن كونه طفلا أو هيكلا عظميا ، وأنه ليس الله في المنطقة العربية هو الميت ولكنه كذلك العالم والانسان ، وأن القرآن « خلاصة تركيبية لمختلف الثقافات التي نشأت قبله » وأن عودة العربي الى نقائه الأول لا يمكن ان تتحقق الا في ضوء عودة الشاعر يوسف الخال الى المسيح ٠

« نحن لن نهتم بهذا ، لأننا سنتعرف على « حقيقة الرفض » من خلال شعره ، وان كنا نسارع فنعزلها عن فكرة «الزنجية» التي قام بها المثقفون الكاريبيون والافريقيون في فرنسا بعد الحرب العالمية الأولى ، والتي اعتبرها « جان بول سارتر » رفضا للعالم الغربي الذي لا يهتم بهم ، ذلك لأنها لم تكن رفضا للثقافة الفرنسية ، وانما كانت توسيع عين ، وانفتاح قلب على كل ما هو محلي في حياة هؤلاء الشعراء ٠

ونحن لا نجد لها شبيها في تاريخنا العربي ، الا بما اصطلح على تسميته بتيار « الشعوبية » ، والذي تتحدد ملامحه في « تخريب » القوى العربية « من الداخل » تحت شعارات التقدم والتسامح ، وفي ظل ظروف التحولات التاريخية الكبرى !

وعلى كل فنحن قبل أن نتوغل في نفس الشاعر نجدنا محاصرين بعدد غزير من الرموز التي تدور حول : النار ، وفينيق ، والصلب ، والجلجلة ، والطوفان ، والمطر ، والجرح ، والوثنية ، وعذاب سيزيف ، والفراعنة ، والرمل ، والوثنية ، ثم نجده يبدأ رحلته بتقديم نفسه ٠

« ليس وجها ليس ايحاء نبي
ليس وجها خاشعا للقمر
هو ذا يأتي كرمح وثني
غازيا أرض الحروف
نازفا - يرفع للشمس نزيفه
هو ذا يلبس عري الحجر
ويصلي للكهوف ! »

ولكننا نكتشف أن هذا الصوت نابع من مهيار ، حيث يعيش في « حدائق النار » وحيث يقدم شكوى باسمه الى العالم المعاصر ٠

« مهيار وجه خانه عاشقوه
مهيار أجراس بلا رنين
مهيار مكتوب على الوجوه
أغنية تزورنا خلسة
في طرق بيضاء منفية
مهيار ناقوس من التائهين
في هذه الأرض الجليلية ٠ »

ثم يبدأ رحلة الضياع والقلق والتمرد ، فقد تعبت عيناه من الأيام الى حد أنه يريد تقبها بحثا عن يوم آخر ، وهو فى أثناء هذا ينزع قشرة الحياة فيرى بلاده صارت بلاد الوحول ، وميتة ، وزوجة للاله والطغيان ، ومن هنا نراه ينضم الى التائهين الذين يتامون فى أيديهم مثله ، والذين ينادون باعلان « بعث الجذور » ورفع الرمال (والرمال يرمز بها دائما الى العرب كما أن الجذور عنده هى ما كانت عليه بلاده قبل التقدم الاسلامى) وهو يحس أنه وحده « البذرة الامينة » وأنه قد أصبحت له لغته الخاصة به ، ما دام قد تخطى تخوم « **الخليفة** » ورفض « **الامامة** » ومن هذا الموقف الجزئى الخاص به يدين العصر « عصر يتفتت كالرمل يتلاحم كالتوتياء ، عصر السحاب المسمى قطيعا والصفائح المسماة أدمغة ، عصر الخضوع والسراب ، عصر الدمية والفزاعة ، عصر اللحظة الحرجة ، عصر الجدار لا قرار له » .

ثم ينتقل نقلة كبيرة الى ما يمكن تسميته الرفض الكونى .

- **لا الله اختار ولا الشيطان**
كلاهما جدار
كلاهما يغلق لى عينى
- **اعبد فوق الله والشيطان**
دربى أنا أبعد من دروب
الاله والشيطان
- **خريطتى ارض بلا خالق**
والرفض انجيل

ولكنه ينتظر الها آخر ، ربما يعنى به حضارة بحرية قديمة .

« انتظر الله الذى يجىء
مكتسيا بالنار
مزينا باللؤلؤ المسروق
من رئة البحر من المحار
انتظر الله الذى يحار
يغضب يبكى . ينحنى . يفىء
وجهك يا مهيار
ينبىء بالله الذى يجىء »

وهو يؤكد أنه لم يعد هناك التقاء بينه وبين اخوته فى الوطن :

« بينى وبين اخوتى قابيل
بينى وبين الآخر الطوفان
حين ينام الليل والنهار
اغافل السفاح
أمشى ويمشى خلفى الغبار
لكننى أمشى بلا مصباح »

وهو حين يعرف أن الغابة شاقة بيأس ، ويبكى، ويتوعد فى وقت واحد فيقول : انه الذئب الالهى الجديد ، وانه الراية العالقة ولهجة البرق والصاعقة ، وريح السموم ، وأمير الفراغ ، وسيد الأشباح ، وأخرس كالمسمار ، وانه ليس أمامه غير طريق النار وجحيم الرفض :

- **اننى مهيار هذا الرجيم**
- **اننى خائن ابيع حياتى**
اننى سيد الخيانة !

ثم يرتفع يأسه وصراخه وهو يقول « تريدون أن أكون مثلكم ، تطبخوننى فى قدر صلواتكم ، تمزجوننى بحساء العساكر وفلفل الطاغية ، ثم تنصبوننى خيمة للوالى وترفعون جمجمتى بيرقا .. آه يا موتى » .

وهو قد يسترجع ماقدمه فى وطنه فيذكر مواقفه هناك ، ورد الفعل لها :

- **دفنت فى أحشائك الذليلة**
فى الراس والعينين واليدين
مئذنة .. دفنت جثتين
الأرض والسماء

فهو حريص على أن يؤكد أنه دفن « المئذنة » ! مع أنه كان يكفى دفن جثتى الأرض والسماء، وهو حريص على أن يسوق فى حوار قصة حدثت له أو كان يمكن أن تحدث له مع السلطات :

- **جره يا شرطى**
ـ سيدى اعرف أن المقصلة
بانتظارى
غير انى شاعر اعبد نارى
وأحب الجلجلة
آه يا عصر الحذاء الذهبى

وهو ما يكاد يصل الى هذا « التذكر الشعرى » حتى ينهال على وطنه :

● تزيني بالرمل والذئاب
يا امراة الريح الدمشقية

● كلنا في بلادى نصل كلنا نمسح الأحذية

● يا امراة الآلام والصوان
يا أخت قاسيون

● يا وطنا مصمغا مكسور
يسير مشلول الخطى قربي

● هربت مدينتنا
والرفض لؤلؤة مكسرة
ترسو بقاياها على سفني
والرفض حطاب يعيش على
وجهى – يلملمني ويشعلني
والرفض أبعاد تشتتني
فأرى دمي وأرى وراء دمي

● انهم اسلموا لحمهم للصخور

ثم ينتقل انتقالة شعرية أخرى حين يعلن من خلال الرموزالمسيحية أنه «سينعكس وجه الحضور»، وأن ناره تتقدم نحو الوطن ، الذى يعتبر البطل الحقيقى فى الديوان .

« اركض خلف الوطن المسجون
وأسرج الأفراس
نحوك يا بلادى »

وهو لكى يجعل صوته عميقا وذا صدى لايكتفى بمهيار الديلمى . وانما يستنجد ببعض الشعراء الشعوبيين الكارهين للعرب ، فتراه يرثى الشاعر « أبانواس » ويرى ان « الدمن » التى لفته فى الماضى تلفه الآن ، وأن أحباءه طغاة ومراءون كالسماء ، كما يرثى الشاعر « بشارة » الذى يراه ما يزال الى الآن يهدر فى الشوارع وفى أعماقنا ، ثم يأخذ فى رثاء الأيام الحاضرة التى يراها تغص بعربات النفى ، وبالتاريخ العربى الملطخ بمسك العوانس والأرامل والعائدات من الحج ، ثم يضغط على القلم أكثر وهو يرى سوريا صارت امراة محمومة وجسرا للملذات يعبره « الفراعنة » فى الوقت الذى تصفق فيه لهم حشود الرمل (يقصد بهذا المتحمسين من العرب للوحدة) ثم يضغط أكثر وأكثر حين يقول « حيث يبدأ الفراعنة يأكل الناس بعضهم بعضا ، وتنتهى الكلمة ، وحيث يبدأ الفراعنة أحمل كتبى وأمضى .. أترك ورائى أصدقائى قضبان الحديد والسجون ، وأترك بلادى لاولئك الرواقيين المجانين، وداعا ياعصر الذهاب فى بلادى ، وهو يرى أن هذا ليس اول عملية بيع لبلاده لأنها بيعت من قبل « لفيل أعمى » ثم تراه يكتب رسالة البيع للعروبة قديما فيقول :

« لفيل أعمى كتبنا رسالة البيع .. رجل يتبرك بخف الوالى ، رجل يسقط شفتين مقطوعا بأشراف ، رجل يمشى بساقين خيطين ، رجل مهروس بالنذير ، رجل يتكلم ولا رأس له ، رجل لا اسم له ، رجل يرسم وجهه بحليب ناقته ، رجل يعرف امه فى ولائم الملك ، رجل يرقد مع زوجته تحت عباءة الأمير فى حرير التسرى والرعب ، رجل يحشى جلده بالقش ويعرض فى الشوارع ، رجل ميت يجلد ثمانين سوطا، امراة بنهد واحد تجر على الأرصفة ، طفل يلبس رداء المشنقة .

أحمد أبوالفوارس . كافور أبوالمسك ، تيمورلنك هؤلاء أسياد أرضنا ، همامراؤنا وهم تيجاننا الفاتحة هؤلاء شعبنا . هؤلاء حياتنا على الأرض .

والنجوم جيش يبصق علينا باسم سيد الأعالى؟؟

هو ذا شعب يفرش وجهه للسنابك ، هى ذى بلاد اجبن من ريشة وأزل من عتبة !!

(الرمل) يمحو مناراتنا ، والشمس تهترىء فى تجاعيد أيدينا

آه يا بلادى يا جلد الحرباء .. هو ذا سيدك ياخادمة، هاتى له قهوة عدن ، هيئى سريره

..وأين انت يا رعد يا رسول الطوفان

.. يارجل قل لنا اية تأتى »

تلك هى الوثيقة التى يظلم بها الحضارة العربية، والتى يرى أنه لم يعد أمامه الا ان تنطرح آلهة «الرمل» والا أن يعود الى بلاده حيث المصباح كنيسة والنخلة راهبة »

***

من كل هذا نرى أن الشاعر يفهم على مستويين: فى المستوى الاول هو أن الشاعر يأخذ موقفا معارضا من الكون ، ومن كل ما يمكنه أن يلقى على الانسان ثقلا من الماضى ، وأن عليه أن يصنع وجوده ، وهو نتيجة لهذا ممزق ، ويائس ، وقلق ، وغاضب ، وقد كان هذا المستوى ثمرة ميتافيزيقية للمستوى «الخلفى»

الذى كان نتيجة احتجاج الشاعر على عهد الوحدة : فى سوريا ،وعلى انضمامه لأعداء هذه الوحدة ،والذين يقولون – فى سلسلة شعوبية طويلة – ان حضارة العرب هى حضارة الرمل ، ثم يوزعون الضربات – حسب الظروف المواتية – فمرة ضد الاسلام ومرة ضد العروبة وثالثة ضدهما معا ! والشاعر **على احمد سعيد : ادونيس** كما ذكرنا لايشك انسان فى مقدرته الشعرية ،وفى اصداره التركيبة الشعرية الاوركسترالية . وفى استخدامه الرموز وتلاحم الصور ، الى حد أن القارىء يجده «مبشرنا» لمقدرته بين أكثر الشعراء المعاصرين ·· الا انه يبقى سؤال هو ·· هل نلوم الشاعر على خطأ فى الموقف ؟ ·· ان الكثيرين يقولون ·· ويكفينا منه العمل الجيد» ولكن أما كان من الممكن لكل هذه الطاقات الشعرية ، التى يمكن وضعها فى اطار « الشعوبية » أن يكون ابداعها اعمق لو أنها أخذت الموقف الصحيح ؟ ·· اننا هنا لا ندعو الى عمليات الحشد المساند الخطابى للأمة ، فقد تكون الأمة فى أى مكان فى فترة من فترات تاريخها على خطأ ، وقد يكون الشعراء الخارجون على صواب ،ولكننا نقطـدون مصادرة لتجربة الشعرية. نريد ان نتعرف على الدوافع التى يمكن ان يتجه اليها الشاعر المخالف فى المواقف التى لايختلف عليها التاريخ والشعب والحقيقة ، ثم حين يجد الشاعر من «يزين» له الشقاق مع بلده وتاريخه ومستقبله ،ومن يربت عليه دائما بالدولار أو الفرنك ·

لقد احتفظ « **مهيار الديلمى**» بنار المجوسية الفارسية فى صدره وبكراهيته للعرب ، ورفع «**مهيار الدمشقى**» راية رفضه لكل ما هو عربى ، وكل ماهو حتمى وضرورى فى حياتنا المعاصرة ، ومن خلال « النار المضرمة » التى أوقدت من أول عهد الخوارج والتى أكلت قلب مهيار القديم ومهيار الجديد ·· تسير العروبة دون أن تقتص من كل منهما ، بل انها تبتسم فى وجهيهما الحاقدين ، ولا تصادر حتى متعة «لعبهما بالنار المشبوعة » فالتاريخ الأدبى هو الكفيل بالحساب ، واظهار الدوافع ، واسقاط الأقنعة ، وأعتقد أن هذا أشد من حساب السياسة ·



يقدمه تحسين عبد الحى

أضواء على الاتحاد الاشتراكى العربى
تاليف : عبد الواحد حافظ الوكيل

تجتاز جماهير شعبنا اليوم مرحلة من أهم مراحل نضالها فى سبيل حريتها واشتراكيتها ووحدتها المنشودة ـ وتتعدد صور هذا النضال اليومى فى كل جزء من أجزاء وطننا العربى .. ففى الجنوب العربى المحتل تواجه جماهير شعبنا حرب الابادة الطاحنة التى تشنها بريطانيا بصواريخها وأساطيلها ـ وفى الجزائر يواجه شعبنا أشكالا متعددة من الضغوط الخارجية والتآمر المباشر والمستتر على مقدراته ووجوده القومى ـ وفى اليمن يحارب شعبنا بشجاعة منقطعة النظير عوامل التخلف والتفكك ـ وكذلك بقايا التآمر الامامى الاستعمارى المتخاذل ... وفى عراقنا الحبيب تواجه جماهيرنا أوضاعا متخلفة من بقايا الحكم الرجعى ، لترسى بثوريتها المعهودة الأسس السليمة لقيام الوحدة العربية وتدعمها انتظارا لليوم الموعود ـ يوم ـ الوحدة العربية الشاملة ومن خلال عالم اليوم المضطرب فى كثير من اجزائه ومن خلال ايمان شعبنا بقضاياه العادلة ـ فى الحرية والاشتراكية والوحدة ـ ومن خلال ايمانه بالسلام القائم على العدل ـ من خلال الأمانى والآمال وتطلعاته الوحدوية المشروعة ـ تنبثق ارادته القوية فى اقامة تنظيماته وتشكيلاته القومية ـ التى تنظم صفوفه وتحدد له أساليب العمل والنضال من أجل الوصول الى أهدافه القوميـة .. فجبهة التحرير الوطنية الجزائرية ـ بتنظيماتها المنبثقة من واقع شعبنا فى الجزائر ـ تشكل الأساس الثورى المنظم ـ لوحدة العمل القومى على المستوى الاقليمى والقومى والعالمى .. وجبهـة التحرير الوطنيـة الجزائرية بمحتوياتها ودعائمها ومنجزاتها .. انما تمثل جزءا من الحركة العربية الواحدة ـ واذا كانت معارك التحرير قد ساعدت على خلق تلك النوعيات الفذة من الرجال ـ الذين يمتـازون بالوعى والمقدرة الفـائقة على العمـل المباشر السريع .. فان الجبهـات الأخرى التى نبتت من نفس الظروف والمشتركة مع جبهة التحرير فى الأهداف والغايات ـ وأقصد بذلك التنظيمات الشعبية للاتحاد الاشتراكى العربى فى كل من العراق والجمهورية العربية المتحدة ـ انما تشكل النقاط الأساسية والمرتكزات النضالية لصنع المستقبل العربى الوحدوى المنتظر .

وكتاب اليوم يلقى الضوء على الاتحاد الاشتراكى العربى كتنظيم شعبى أصبح من المحتم عليه أن يتحمل تبعاته فى هذه المرحلة الهامة من مراحل تاريخ أمتنا الحديث .. والكتاب يعالج الاتحاد الاشتراكى العربى

ـ فكرة وتنظيما وأهدافا ، محددا الظروف التي حتمت تنظيمه وكذلك الواجبات والمسئوليات الملحة التي يجب أن يتحملها كل عضو من أعضاء الاتحاد الاشتراكي ..

« واذا كانت الثورة الاشتراكية تقوم على نضال الشعب العامل .. فانها من أجل هذا الشعب وبه ـ وهي لا تستطيع أن تعمل من أجله الا اذا آلت الأمور اليه ولن يكون ذلك الا اذا أمسك بالزمام ممثلوه الحقيقيون ـ والا اذا أتيحت للشعب الحرية لينطلق بأقصى طاقاته ـ ويعبر عن ارادته ـ ويحمي مكاسبه من أي عدوان أو انحراف فالديمقراطية السليمة بالمنطق الاشتراكي ـ تصبح وسيلة وغاية للنضال الوطني في وقت واحد » .

« والاتحاد الاشتراكي العربي يجب أن ينبع ديمقراطيا من الجماهير المؤمنة بالثورة باعتبارها الطريق الذي لا طريق غيره الى اعادة تشكيل المجتمع . ويجب أن يعبر ديمقراطيا عن ارادة الجماهير ـ ويجب أن يوجه ديمقراطيا جميع خطط العمل الوطني وأساليبه بما يحقق صالح هذه الجماهير .. وكما يقول الميثاق الوطني :

« ان وعي كل مواطن بمسئوليته المحدودة في الخطة الشاملة ، كذلك ادراكه المحدود لحقوقه والتيقن من نجاحها انما هي فضلا عن كونها توزيعا للمسئولية على نطاق الأمة كلها بما يعزز احتمالات الوصول الى الأهداف .. هي في الوقت ذاته عملية انتقال ثورية بمعنى العمل الوطني ـ من العموميات الشائعة المبهمة والغامضة الى وضوح ذهني وعملي يربط الانسان الفرد في نضاله اليومي بحركة المجتمع كلها ، ويشده ، في اتجاه التاريخ ، كما انه يوجه به حركة التاريخ في اللحظة نفسها » .

ان فلسفة العمل الوطني يجب أن تصل الى جميع العاملين في الوطن في المجالات كافة .. بل يجب أن تصل اليهم بالطريق الأكثر ملاءمة بالنسبة لكل منهم .

ان ذلك يكفل دائما أن يكون الفكر على اتصال بالتجربة ، وأن يكون الرأي النظري على اتصال بالتطبيق التجريبي .

والاتحاد الاشتراكي العربي : « هو الوعاء الذي تلتقي فيه مطالب الجماهير واحتياجاتها » .

ان هذه المسئولية الكبرى للاتحاد الاشتراكي العربي تفرض أن تقع الخطوات الهامة على عاتق القيادات الشعبية التي تثبت مقدرتها ـ بكفاية وأمانة ـ في المشاركة على حمل هذه المسئولية التاريخية . ومن ثم .. فان عضوية الاتحاد الاشتراكي العربي انما هي تكليف بالخدمة للقادرين على الوفاء بها ، والذين يستطيعون أن يعطوا الميثاق من ذات أنفسهم ، ومن الطاقات المؤمنة الخلاقة ما ينقل فكرة العمل الثوري الى الواقع الفعلي .

وهكذا ـ فان الاتحاد الاشتراكي العربي كتنظيم سياسي لا يمكن أن يستقيم أمره أو أن يكون مثمرا أو مجديا الا اذا أحسن اختيار أعضائه .

ويجب أن تتوفر في عضو الاتحاد الاشتراكي ـ بعض الكفاءات الخاصة التي تمكنه من النهوض بالمسئولية الملقاة على عاتقه ـ لكي يكون نواة ثورية حية تلتقي مع غيرها على طريق النضال والتعاون المثمر .. اذ يكون من واجبه أن يعمل على التعرف على محيطه المحلي ، وأن يقوم بالتوعية والتثقيف الاشتراكي العربي بين أفراد هذا المحيط بطريقة عملية ناجحة .

« والقيام بالتوعية والتثقيف الاشتراكي العربي يتطلب مقدرة خاصة تتوافر في أناس بذواتهم . أناس موهوبين سبق لهم نشاط ثقافي واجتماعي وأثبتوا وجودهم ، ونجحوا في رسالتهم .. أناس يؤمنون بالاشتراكية ويفهمونها على وجهها الصحيح، وليست لديهم تطلعات طبقية أو محبة في الظهور .. أناس عاملين لا متعالين ، متواضعين لا متضعين ، عاملين لا خاملين، أناس تنبع كلماتهم من القلب لتنفذ الى القلب ، أناس يثق فيهم الجمهور ، ويلبي نداءهم ، وينصت اليهم .. أناس يعرفون ماذا يقولون وكيف يقولون ، أناس يتسمون بالوضوح في الفكرة ولهم قدرة على التبسيط والافهام » .

ويجب أن يمارس عضو الاتحاد الاشتراكي النقد الذاتي ، ويعمل على تصحيح أخطائه بروح طيبة . والنقد والاعتراف بالخطأ لهما أهميتهما في الحياة الديمقراطية ـ والتنظيم السياسي الذي يفقدهما يكون تنظيما شكليا ، بل انه لا يلبث أن ينهار من أساسه اذ بدونهما تسلب روحه وحيويته وفعاليته وتماسكه .

ان الاتحاد الاشتراكي العربي مطالب بالنضال المستمر في جبهات متعددة وبصور مختلفة .

انه مطالب بالنضال ضد تسلل الرجعية التي تم اسقاطها ..

« فالرجعية التي جردت من اسلحتها ، واسقطت من عليائها ، وهزتها الاشتراكية هزا عنيفا ـ مازالت تحاول أن تسترد قوتها ، وأن تتجمع في الخفاء ليعود اليها سلطانها . والرجعية هي الخطر الذي يهدد مكاسبنا الاشتراكية ، وقد حدث أن طعنت الوحدة بين مصر وسورية بعد أن تحالفت الرجعية مع الاستعمار ، فمن واجبنا أن نضيق الخناق على الرجعية ، وأن نعلن الحرب عليها ، وأن نسد عليها كل طريق للعودة مرة أخرى ، وذلك لا يتأتى الا اذا وقف الشعب على أخطارها أولا بأول ، ولاحقها في كل مكان تحاول أن تنفذ منه والا يمكن لها سواء في المؤسسات أو الشركات أو الوظائف الرئيسية أو القيادات الشعبية » .

« وكذلك لابد للاتحاد الاشتراكي العربي من المقاومة الحقيقية لتسلل الانتهازيين فقد كانت الانتهازية مرضا وبيلا ينفث سمومه في المجتمع الاقطاعي والراسمالي المنهار ، والآن ـ بعد أن حدث التحول الاشتراكي ، وبعد أن أصبح مصير الشعب بيده .. مازالت الانتهازية تحاول أن «تلعب بذيلها» مهددة قيام المجتمع الاشتراكي وكيانه.. فالانتهازي هو الأناني الذي لا يعرف الا ذاته ، والانتهازي هو الذي يحطم الأساليب الشريفة في سبيل تحقيق مآربه ، فهو عامل تخريب وتدمير ، ونحن أحوج ماتكون في هذا الظرف الى أن نطهر صفوفنا من أمثال هؤلاء الذين لا يحفلون بمستقبل الوطن أو حاضره ، والا ندعهم يتسللون الى المناصب الرئيسية او القيادات حتى لايفسدوا العمل العظيم ، أو يعوقوا عجلة التقدم .. أو يخيبوا الآمال الكبار المعقودة على المبادىء الاشتراكية » .

ويهاجم المؤلف ـ السلبية والانحراف بكل صورهما .. فيقول : « ان السلبية عامل من عوامل الهدم والتجمد ، وفي هذه الفترة من تاريخنا ونحن نعمل للقضاء على التخلف ، ونعمل على التقدم بخطوات سريعة ، ونحن في حاجة الى كل جهد والى كل طاقة ، فاننا في حاجة ماسة الى مقاومة السلبية ومحاربتها ، حتى يبذل المواطنون كل جهودهم لتحقيق الأهداف التي رسمناها لأنفسنا ، وحتى يمكن أن تنفذ الخطة أو الخطط التي عقدنا العزم على انفاذها في الوقت المحدد لها .

ان السلبية لا تكتفي بأن تشل حركتنا ولكنها ايضا تعطي اعداءنا الفرصة ، وتسلبنا النشاط والمبادرة وتحرمنا القدرة الايجابية على الخلق والنضال ، وتجعلنا عاجزين عن ممارسة واجباتنا .. ان السلبية هي الجرثومة الخطيرة التي تقتل في صمت ، والتي تحيل الحياة الى موت ، وتجعل من الفكر العظيم شيئا لا قيمة له .. ومن هنا كان الواجب الحتمي ـ هو القضاء على السلبية وعلى كل مدلولاتها .

اما الانحراف .. فهو البلبلة وعدم اليقين والتفسير الخاطيء وسوء النية .. وكثيرا ما يؤدي الانحراف الى عكس العمل المطلوب .. انه غالبا مايتظاهر بتحري بلوغ الغاية ولكنه في الواقع لايهدف الا الى ضدها .. انه من الأساليب الانتهازية ومن ثم كانت مقاومته أمرا محتوما حتى لا يكون النضال الا من داخل نظريتنا التي أوضحت كل مقومات الاشتراكية العربية .

ان هذه الواجبات الملقاة على عاتق الأعضاء العاملين في المجتمع الاشتراكي واجبات خطيرة ، ولن ينهض بها الا الصفوة المختارة المؤمنة المخلصة الواعية المدركة لما حولها من أخطار ، الدارسة للمبادىء الاشتراكية دراسة مستوعبة ، الواقفة على مدى الأضرار التي لحقت بنا في الماضي المتطلعة الى آفاق المستقبل الرحيب حيث تصير الاشتراكية هي واقع شعبنا .

ولا يسعنا هنا الا أن نختتم هذا الموضوع **بقول الرئيس جمال عبد الناصر في خطابه امام اعضاء مجلس الأمة :**

« لقد قمنا برحلة طويلة .. لكنه كان من المهم ان نعود الى قياس الطريق الذي قطعناه .. لكي نتاهب لمسئولية الطريق الذي مازال يمتد امامنا .. لكي يكون لنا مما حققناه دافع الى ماينبغي أن نحققه .. لكي ندرك بتقدير للمسئولية لا يشوبه الغرور او الاستعلاء .. أن أكتافنا تستطيع أن تتحمل عبء عصرنا وامانته » .

قراءات في المجلات العربية

يقدمها : مصطفى فوده مصطفى



● ماذا قال عن نهرو ؟

كنا ننتظر من عالم مثل الدكتور «احمد زكي» عندما يتكلم عن شخصية عالمية كنهرو ، ان يوفيها حقها من جميع جوانبها : كفاحها من أجل قوميتها وكفاحها في سبيل سلام العالم ، وشخصيتها الخ

غير اننا ماكدنا نصل الى نهاية حديث الدكتور «زكي» حتى وصلنا في الوقت نفسه الى غير ماكنا نتوقع ، وتركناه غير مصدقين أن مثل الدكتور يكتب عن رجل كنهرو ، دون أن يعطينا حقنا ، ويعطي نهرو حقه ! فبعد أن تكلم عن احقية الموت على البشر واختلاف وقعه على الاحياء باختلاف اختيار المنية للفرد قرب رحم أو بعده ، والتصاقا بالناس أو ابتعادا عنهم ، وتأثيرا في مستقبلهم ·

بعد أن يتكلم عن هذا ينتقل الى لمحة عن «نهرو» لا تغني من تعريف · ويذكر مقابلة معه لا تعطي ابعادا لتلك الشخصية العظيمة حتى من الخارج ·· اللهم الا عن لهجته ولطف محضره ·· وليس يكفي هذا في نهرو بالطبع ·

كنت اتوقع أن يعطينا حتى مثل تلك العجالة وهذا اضعف الايمان :

لقد ولد نهرو لأسرة ثرية في مدينة ـ الله آباد ـ عام ١٨٨٩ في الشهر الحادي عشر واليوم الرابع عشر ، وانه تلقى تعليمه بدءا من سن الخامسة عشرة في مدارس انجلترا وجامعاتها ، حتى اذا ماعاد الى الهند اشتغل بالمحاماة · ولكنه وجد أن باستطاعته أن يدافع لا فيما يجد بين الاشخاص ، ولكن فيما جد بين أمته ومستعمريها الانجليز الذين امتصوا ماء حياتها ، على حين أن جل أهلها في فقر مدقع ، لايكادون يجدون قوت يومهم أو مايستر عورتهم أو يؤويهم ·

ولم تكن تلك الحال بالطبع ترضي نهرو المحامي ، فقرر أن يترافع في قضية واحدة هي قضية شعبه · فزامل غاندي أبو الهند بحق ودخل السجن مرات ، وفيه كتب كتابه «نظرات في تاريخ العالم» الذي كان يرسله على هيئة رسائل لابنته «أنديرا» ·

ومع ايمانه بشعبه واصراره على الكفاح من أجله انتصر هذا الكفاح في النهاية وحصلت الهند على استقلالها · فبدأ نهرو صفحة جديدة في الكفاح من أجل مستقبل أفضل لشعبه ، كانت صفحة صعبة ومريرة في نفس الوقت · غير أنه وجد في الاشتراكية حلا لهذه العقد فآمن بها وراح يطبقها لا كما تخيل ماركس ، وانما كما املته قيم شعب الهند الروحية وظروفه المعيشية وطباعه الحياتية وتطور فكرتها بتطور وسائل العلم والتقنية وتقدمها، مما اعطاها مرونة أكثر مما وضع ماركس ·

كان «نهرو» يضع انسانية الانسان في الاعتبار

الاول ، لذا لم يكن يفرض على شعبه وضعا معينا عن طريق السلطة والتسلط ، وانما كان يطرح للنقاش ما يؤمن به وعن طريق الاقناع والاعلام والتوجيه والتخطيط ثم الديموقراطية البرلمانية ، يختار الشعب طريقه ويسير نحو مستقبل افضل

ولم يكن ايمان نهرو بالانسان الهندى فقط ، وانما كان يؤمن بالانسان فى كل مكان على ظهر ارضنا هذه . وايمانه هذا جعله يشجب التفرقة العنصرية ويندد بمطبقيها ويحاربهم فى كل مناسبة . وجعله يدعو الى التعايش السلمى بين الشعوب بعامة ، فلا قنابل الذرية تهدد بمحو البشرية بين عشية وضحاها ولا قواعد للعدوان او نهب لخيرات الشعوب . ولا احلاف عدوانية همها السيطرة وحماية الاحتكارات . ولا حرب لحل الخلافات ، وانما انسانية واحدة مصيرها واحد .

ولايمانه هذا كان معنا أيام العدوان الثلاثى بكل وجدانه ، واننا لنذكر مابذله وزير خارجيته آنذاك « كرشنا منون » من أجلنا . رحم الله نهرو فقد كان من أولئك الرجال الذين أحبوا الانسانية فاحبتهم ابان حياتهم وبكتهم بدموع غزار بعد مماتهم .

● لاخطر من أدب الجنس مادام ادبا بحق :

يخيل الى انه لا جدوى مطلقا من مصادرة أفكار الفنان سواء وهى جنين يعتمل فى نفسه ، أو بعد انتفاضها كائنا حيا يؤثر فى الناس ويشدهم اليه أو ينفرهم منه . فالفنان لايستطيع أن يكبح جماح أفكاره مهما كانت شاردة أو شاذة خارجة على قوالب مجتمعه . وكثير من الشعوب تعرضت لفترات عسف وحجر على الافكار خيل للناس معها أن الفنانين يسيرون بانتاجهم فى صف أشبه بصف الجند لا يحيدون عنه قيد شعرة . ويصدرون عن بوق واحد وبنغمة واحدة رسمها الحاكم . غير أنه يتبين بعد الدراسة الجادة لتلك الاعمال انها تحتوى على كثير من الرمز ، وعلى المعانى المطلة من بين السطور . وأدبنا لما قبل الثورة وبخاصة المقال السياسى منه خير مثال لهذا . وقد عاصرناه جميعا

وقد يشتد الحاكم فيكمم الأفواه أكثر ويخيل اليه أنه بهذا وأد الفكر فى بطن الغيب ، ومنعه من رؤية النور ، غير أنه يكون واهما كما أثبتت التجارب .

عرف تلك الحقيقة كثير من الحكام ، فتركوا الفنان يتحرك كما يشاء ويقول كل ما يريد ، حتى ولو كان على غير هواهم ، وكل ما عملوه أنهم جندوا من يناقش ما جاء منه على غير الهوى . وبهذا أمنوا غوائل الفكر وعواصف الكلم .

وقد حدث أن قدمت أخيرا الأديبة « ليلى بعلبكى » فى لبنان للمحاكمة بتهمة : افساد الاخلاق بكتابتها . ولست أعتقد أن الادب الصادق الذى وراءه أديب مؤمن ببلده وناسها بخاصة ـ والانسان فى كل مكان بعامة ـ يفسد الاخلاق مهما عرى الانسان وكشف من سوءته ، والا لأفسد الشعر العربى فى الجاهلية والاسلام اخلاق الأمة العربية . فكم فى الشعر الجاهلى من أشياء تقبلها العرب وتناقلتها السنتهم حتى فى المعلقات :

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب
ببهكنة تحت الطراز المعمد

والشعر فى عهد العباسيين فيه كثير وكثير وكلنا نعرف شعر أبى نواس وما فيه .

ومع مثل هذا الشعر لم يفسد الناس بقدر ما اطرد القياس .

على أننى أتساءل لماذا كل هذا الخوف من الحديث عن الجنس وهو فى حياتنا كلنا من قبل أن نولد الى أن نموت حتى ان « فرويد » يقول بأن تصرفاتنا جميعا يحكمها شىء واحد هو الغريزة الجنسية . فعلام اذن كل هذا الهلع اذا تعرض له كاتب . لعلى ارى أنه لا غبار على أى كاتب ولا حرج فى أن يقول لنا ما يريد ما دام هدفه بناء المجتمع ومعالجة مشكلاته . أما الهرب فسمة الضعفاء غير المقدرين .

ان ما علينا عند ما يتعرض فنان للجنس بأى وسيلة كانت ، أن نبحث عن الهدف من وراء هذا التعرض ، أهو معالجة وبناء ، أم هدم مغرض . فان كان الأول فمرحبا به ، وان كان الآخر ، فأحسن علاج له هو كشفه واظهار غرض صاحبه ، لا مصادرته لان كل ممنوع مرغوب كما يقولون . فالمصادرة تأتى بنتيجة عكسية ، كما أثبتت التجربة فى رواية « عشيق الليدى تشاترلى » التى طبعت مرات كثيرة سرا ابان فترة مصادرتها . فحب الاستطلاع

المركوز فى طبع الانسان يدفعه دائما الى الكشف عما هو مخبأ ومستور .

ثم لماذا شاع اطلاق « أدب الجنس » على مايتعرض لما بين الذكر والانثى ؟

فى اعتقادى أنها تسمية خاطئة ، وان الأولى أن نبحث عن اسم آخر ، ان كان لابد من تسمية ، فمن المعروف أن الجنس أعم من النوع ، وكل ما ينتجه الانسان خاص بجنس الانسان، سواء ما عالج مابين الذكر والانثى ، وما عالج مابين الذكر والذكر ، وما عالج مابين الانثى والانثى ، وما عالج مابين الانسان وما يحيط به . كل هذا أدب الجنس البشرى . فلنبحث اذن عن تسمية غير هذه عندما نسمى هذا النوع من المعالجة لما بين الذكر والانثى .

● كتاب لم يأت بجديد :

بالرغم من اعتراف « د. محمود السمرة » بأن كتاب « انفتاح العرب على الغرب فى العصور الحديثة » لايضيف جديدا حيث يقول عنه : « ولكنه لايضيف جديدا للمطلع الراغب فى الاستزادة » نعم بالرغم من اعترافه هذا فانه يقدم الكتاب لنا فى « العربى » كتابا للشهر .

وموضوع الكتاب مستهلك درسناه حتى فى أول مراحل الدراسة . وعرفنا أثره وعاد الحديث فيه غير ذى فائدة . اذ انه « يبدأ بحملة نابليون وآثارها، ثم ينتقل الى بعثات محمد على الى فرنسا وما قام المترجمون من جهود فى نقل الكتب الغربية الى العربية وينتهى الحديث عن الرحالة العرب الى الغرب » .

والكتاب كما نرى يشتمل على ثلاثة أقسام اولها وثانيها قتلا بحثا . أما ثالثها فهو الذى ربما كان فيه جديد .

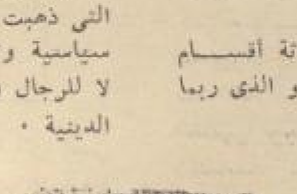
ولست أدرى سر تقديم مثل هذا الكتاب ما دام لم يضف جديدا باعتراف مقدمه . الأولى بكتاب الشهر أن يكون موضوعه جديرا ومثريا وطريفا . او يكون ذا مناسبة قائمة على الأقل . اما أن يقدم كتاب لا جديد فيه فذلك مالا يقبل ولا يستساغ ، لأننا بهذا نفقد الهدف من التعريف بكتاب يفتح آفاقنا على جديد ويدفعنا الى التهام الأصل ذاته ، بعد أن نقف على أهميته من خلال النقد والعرض .

ولعل مما يقلل من أهمية الكتاب اعتماد المؤلف على مراجع مشكوك فى قيمتها العلمية كما أشار الناقد وضرب لذلك المثل . ولنعرض لما عرضه الناقد حتى يرى القارىء أننا لم نتجن على الناقد بقولنا كان الأولى أن يقدم لنا سواه :

« يتكلم عن نزول الفرنسيين مصر وما أحدثوه من تغيرات فى الادارة والتشريع . ثم تلك المطبعة العربية التى اصطحبوها معهم » .

ولعلى أشك فى قيمة تلك المطبعة ، اذ لا يعقل **أن يجعل محتل – قدم أساسا لامتصاص خيرات البلاد – نور العلم يضىء طريق تلك البلاد عن طريق مطبعة ، والا كانت الهند الآن فى نفس المستوى الحضارى الذى تعيشه انجلترا . ان المستعمر لايهمه الا أن يخيم الظلام على النفوس والعقول للشعوب المستعمرة . حتى لاتستطيع له دفعا او طردا . وفى يقينى أن مطبعة نابليون ما كانت الا لطبع منشوراته التى تخدمه .**

ثم يتكلم عن منشور فرنسي ويقول ان البلاد – مصر – « لأول مرة تسمع بكلمة الجمهورية » فى هذا المنشور وينتقل بعد هذا الى البعثات والرحلات التى ذهبت الى أوربا وما استرعى اهتمامها من نظم سياسية وتعليمية . وحكم للقانون والدستور لا للرجال وفصل بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية .





فكرة : للمواطن التونسى جمال الدين سوداني

وقفت عند افتتاحية الرسالة التى بعنوان « الدين ومشكلات حياتنا » ، والذى كان يدور حول المناقشات التي دارت بين الدكتور محمد أحمد خلف الله وزميلين له . واني أحبذ موقف الدكتور محمد احمد خلف الله الى حد ما ، غير اني أود أن أعرف لماذا لا يتصدى علماؤنا للمشكلات العصرية الحديثة التي تتعرض للاختراعات والابتكارات فمثلا: مارأى علماء المسلمين فى نظرية التطور بين الاجناس وما موقف العقيدة من وجود سكان للاجرام السماوية ، وهل من الممكن فهم مسالة القضاء والقدر على غير النمط المعروف لدى أسلافنا ، وهل يمكن للبشر تغيير مزاجهم بحيث يصيرون أصحاب خلق جديد .. هذه بعض الآراء التى نود الوقوف عليها

● الرسالة تشكر السيد /جمال الدين سوداني وتطرح هذه الافكار القيمة للكتابة فيها .

« الكتاب المختفى »
بقلم محمد الأنور محمد شفيق

لا أحسب كتابا يحدث فى نفس قارئه أثرا أعمق وأبقى مما يخلفه ذلك الكتاب الذى سماه الاستاذ العقاد ـ رحمه الله ـ بحق « الكتاب الجهنمى » ..

بدىء فى نشر بعضه فى مجلة الرسالة فى نهاية سنة ١٩٤٩ وأوائل سنة ١٩٥٠ ثم نشرته جريدة (منبر الشرق) فصولا متتابعة من ١٩٥٠/١١/٢٤ الى ١٩٥١/٨/١٠ ، ثم صدرت الطبعة الاولى فى سبتمبر سنة ١٩٥١ تحت عنوان «الخطر اليهودى ـ بروتوكولات حكماء صهيون » ، تقديم وترجمة الاستاذ (محمد خليفة التونسى) .. وما زال أثر الكتاب حيا فى نفسى يدفعني الى التحدث عنه والتحريض على قراءته لكي نستطيع أن نفهم ونفسر ما يقع حولنا من أحداث لا تظهر الا على ضوء ما تواصى به حكماء صهيون وفضحهم نشره ..

وسرعان ما تحرك اليهود لدرء ما يتهددهم من خطر ظهور الكتاب بالعربية ولم تكد تنقضى على صدوره أيام حتى اختفى تماما من السوق وانقطعت الاشارة اليه في الصحف وتحقق بذلك ما أشار اليه السيد المترجم فى مقدمته ..

وهبت الثورة فى مصر يوم ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ فكانت مفاجأة للصهيونية لم تحسب لها حسابا . وبادرت حكومة الثورة بتطهير البلاد من الفساد وارساء دعائم الاصلاح للمجتمع الجديد . وحرصت الحكومة الرشيدة على بث الوعي القومي فقامت لجنة كتب سياسية باصدار كتابها الاول (أسرار الصهيونية) للاستاذ عبد المنعم شميس فى مستهل سنة ١٩٥٧ ، وتوالت كتبها أسبوعيا ، وكان الكتاب الخامس ترجمة أخرى «لبروتوكولات حكماء صهيون» وتتابعت كتب كثيرة حول نفس الموضوع أذكر منها من سلسلة كتب سياسية (اسرائيل والفكرة الصهيونية ، وشعب اسرائيل عندما يحكم، والذبائح الصهيونية ، والصهيوني العالمى ، وأزيلوا اسرائيل، والطابور الخامس لصهيون) ـ ومن سلسلة كتب قومية (فضائح اسرائيل ، ومن جرائم الصهيونية

بين القاهرة والقدس ، والاسرائيليون والمؤامرة الكبرى) ومن مجموعة ، اخترنا لك ، (تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم فى ثلاثة أجزاء ، واليهودية دين لا قومية) ... وهكذا يتضح أن المسئولين يدركون خطر ذلك الكتاب ، فصدرت تلك الكتب وكثير غيرها ما بين مؤلف ومترجم مبينة مدى تأثر الكتاب والمفكرين بذلك الكتاب .

ولا شك أن ذروة التحذير من الجهل بذلك الكتاب تتضح من حديث منشور بين السيد/الرئيس جمال عبد الناصر والصحفى الهندى الكبير ديل كارانجيا وقد أهداه السيد الرئيس نسخة انجليزية من البروتوكولات .

ولكن هل كف اليهود عن محاربة نشر الكتاب والحد من تداوله بين القراء ؟ وتجىء الاجابة عن هذا السؤال على لسان الاستاذ أحمد سعيد من اذاعة صوت العرب - منذ سنوات - وهو يعتذر لمستمع كويتى أرسل اليه طالبا نسخة من الكتاب الجهنمى - ذلك بأن السيد مدير صوت العرب لا يملك نسخة من الكتاب .

وتصدر طبعة ثانية من الترجمة الاولى للكتاب فى مارس سنة ١٩٦١ تحت نفس العنوان ، وقد زادت مقدمته عدة فقرات فضلا عن مقدمة الطبعة الثانية ومقال للاستاذ العقاد كان قد نشر تقديرا للكتاب عقب صدور الطبعة الاولى ..

ويلاحظ فى هذه الطبعة أن نص البروتوكولات يكاد يغيب بين المقدمات الطويلة والهوامش الكثيرة التى أثبتها السيد المترجم دون تعديل يطابق ما جد فى العالم من تغييرات خاصة فى الاتحاد السوفيتى تبرىء حكومته الجديدة - بعد موت «ستالين» والقضاء على « بريا » ، وعصابته - من الانضواء تحت لواء الصهيونية . مما يجعل القارىء مشتت الذهن بين واقع يشهده ويعيش فيه وشروح وهوامش تناقض ما يحسه ويلمسه من وعى ويقظة لكثير من الشعوب والحكومات التى غيرت سياستها الداخلية والخارجية لحرب أصحاب البروتوكولات وعملائهم .

وبعد ، فلا شك أن النصر يعدى ويعمل على شحذ الهمم وتضافر العزائم لاحراز مزيد من الانتصارات لاستئصال شأفة تلك الطائفة الضالة المضلة التى تبغى الفساد فى الارض وتتوسل لذلك بأخبث ما تمخض عنه العقل البشرى لتوجيه التربية والتعليم وتنظيم الاقتصاد واشاعة القيم الفاسدة فى الدين والاخلاق حتى يعم تحلل المجتمعات - غير اليهودية - فيسهل على بنى اسرائيل أن يتخذوهم عبيدا تنفيذا لما توارثوه من عقائد وأساطير جعلتهم يعتقدون أنهم شعب الله المختار ، وذلك لان الله فى زعمهم خلقهم من روحه بينما خلق غيرهم من أرواح شيطانية مثل أرواح الحيوانات .

ولئن كانت اولى بواكير النصر تتمثل فى قيام ثورتنا الكبرى يوم ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ وادراك قائدنا وزعيمنا جمال عبدالناصر لحقيقة الخطر الذى يتهدد الانسانية عامة من عصابة بنى اسرائيل ، فان حدوث تلك التحولات الجذرية الخطيرة فى حكومات كثير من بلاد العالم وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى تبشر بانتشار الوعى لاحراز نصر حاسم على عدو الانسانية اللدود اسرائيل . وها هى ذى الاخبار تترى حاملة الينا أنباء قيام المظاهرات فى كثير من الدول ضد الصهيونية العالمية ...

من أجل ذلك الا ترى معى أن نطالب المسئولين باصدار طبعات متتالية بمختلف اللغات للبروتوكولات وتعمل على نشرها على أوسع نطاق حتى يأخذ الناس حذرهم من عدوهم المشترك فيغيروا ما أصابهم من مسخ وتشويه بفعل ما تواصى به بنو اسرائيل طيلة أجيال عديدة لاشاعة الفوضى والفساد وتوجيه وسائل الاعلام المختلفة لتحقيق أغراضهم الشائنة . وانى لعلى يقين أنه ما من عاقل يطلع على تلك البروتوكولات ألا ويبين له ما لحقه ولحق غيره من آثار مدمرة فى روحه وخلقه كنتيجة مباشرة لما تواصى به حكماء صهيون .

ولنذكر جميعا قوله تعالى : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وكل تغيير يستدعى معرفة سابقة تكشف عما يراد تغييره .. ولن يتيسر لأحد منا معرفة ما أصابه من انحراف وضلال ما لم يطلع على ذلك الكتاب الجهنمى المختفى .

الخال .. والكنز ...

بقلم حلمى محمد القاعود

تابعنا باهتمام ما دار على صفحات « الرسالة » حول قضية الشعر الحر وما تبعها من استعمال شعراء لبنان الرموز المسيحية فى هذا الشعر -

ورفض كثير منهم لمسلمات العرب والعروبة ..

ومما لفت نظري أن الدكتور محمد النويهي ـ كان محور أغلب المناقشات .. فقد ناقش قضية الشعر الحر وناقشها معه كثيرون وفي هذه الايام .. وبالتحديد .. في العدد الاخير من مجلة الرسالة «٥٤» تناول في مقال له ما أوضحه الاستاذ الفاضل عبده بدوى في أعداد سابقة من الرسالة .. فى اتخاذ شعراء لبنان وعلى رأسهم يوسف الخال .. الرموز والافكار المسيحية فى شعرهم .. ثم رد الاستاذ بدوى فى العدد نفسه على الدكتور النويهى .. وفى رأيى أن الاستاذ عبده بدوى أصاب الحقيقة كل الحقيقة فى رده وفى كلامه السابق فى الاعداد السابقة . غير أن الذى أدهشنى كثيرا .. أن الدكتور النويهى فى مقاله الاخير يتطوع مخلصا : بالتحذير المخلص .. للشاعر اللبنانى يوسف الخال هو وزملاؤه من المسرفين فى استغلال الرموز المسيحية .. والدكتور النويهى خائف على ضياع الكنز من يوسف الخال وهو كنز صادق غنى عثر عليه يوسف الخال وبه صدق شعرى يخشى عليه من التكرار والاجترار .. والدكتور النويهى لم يطعن حتى الآن فى صدق يوسف الخال واخلاصه ..

واحب ان اقول للدكتور النويهى أن الاستاذ بدوى كتب عن يوسف الخال تحت عنوان « وشهد شاهد » وبين فيه ـ نقلا عن مجلة الحوادث اللبنانية ـ الوجه الحقيقي ليوسف الخال .. « وجاء فيها أنه مهرج سفح كرامة فنه على أبواب السفارات الاجنبية .. وأنه أداة حزبية رخيصة فى يد منظمة لعبت وما زالت تلعب فى شرقنا العربى « دور المشاركة فى تنفيذ مخططات استعمارية بعيدة المدى » .. ثم انه ذهب الى باريس ليقيم عشرات الاشهر على حساب السفارة الفرنسية فى أعقاب حملة السويس ، ويسمسر لغيره من أفراد شلته لعمليات أخرى من الطراز نفسه . وعلى حساب السفارة نفسها ثم أخيرا أن وراءه « منظمة حرية الثقافة » التى تمولها شركات الاحتكار الصهيونية فى أمريكا .

ان هذه الحقائق تؤكد وجود أهداف معادية للعرب وغزو خبيث لصميم آدابهم وتراثهم الانسانى العظيم ..

والدكتور النويهى بعد ذلك البيان والتوضيح الذى قام به الاستاذ بدوى عن يوسف الخال .. يخشى ويخاف على كنزه الصادق الفنى من التكرار والاجترار .. أليست السفارات الاجنبية ومنها سفارة فرنسا وشركات الاحتكار الصهيونية كلها تخدم قضية الغزو الصهيونى أو الاسرائيلى وتثبت أقدامه بأموالها وجهودها فى أرض العرب التى منها لبنان .؟؟!!

ثم ان الجراح فى فلسطين .. أو جراح العرب ما زالت تدمى وتنزف بغزارة .. ونحن هنا نصفق ونهلل ونقيم الافراح والزينات لمن تستروا بستار الشعر ، بعد ما زلزلوا كيانه ـ لكى يباركونا .؟! وبعد ذلك لا خوف على الخال .. والكنز .. وواأسفاه !!..

مع الشعراء

وصلت للرسالة القصائد الآتية :

الى مجلة الرسالة .. للآنسة ن.ز بالبحرين

- عروس المعبد .. للشاعر صلاح مهدى من بغداد
- غاض بحر العلوم .. للشاعر تادرس يعقوب الفرشوطي من السودان
- اللوعة الحائرة .. للشاعر زهير غازى زاهد من العراق ، وقد جاء فيها :

ايه يا واهب الحياة حياة
ومروى رؤى الدهور الصوادى
يا سكون الكتاب يا واحة النو
ر ويا روضة الصباح الهادى
يا رواء الربيع يا منية الفن
ويا حلم خاطر الرواد
يا نشيدا حلو التلاحين غضا
رددته حواضر وبوادى
قد وهبت الخلود عمرا سنيا
فبلغت المنى وحلو المراد

- قصيدة مهداة .. للشاعر « أبو اليزيد عرفة »
- مناى ترفقى .. للشاعر ابن زياد أحمد من الجزائر
- الى حبيب .. للشاعر عثمان أحمد محمد من السودان

والرسالة تشكر هؤلاء الشعراء ، وتؤكد لهم أنها ستفسح لهم فى القريب ـ ما داموا يواصلون الانتاج ـ مجالا ، ذلك لأنها تؤمن بكل الازهار الجديدة

برق في عينيه

بقلم فوزي شاهين

كانت ليلة شتاء قارسة لم يهنأ فيها **سعدون** بالنوم ، فرغم النار الموقدة طوال الليل ، وتكدس السردين – كما كانت الشلة تسمى نفسها – صفوفا متراصة ومتداخلة ، كانت الريح الصرصر الباردة تحرق عظامه ، وتنفذ الى يافوخه المتدثر بطرف جلباب عوضين ، فيحس برعدة لا يستطيع أن يعبر عنها برجفة من جسمه ، فقد كان عندما يرتجف ينال لكزة قدم أو رفسة ركبة أو قرصة من يد مغلولة ٠

لقد انتهى يوم طويل شاق ذرع فيه السردين أطراف القاهرة من أقصاها الى أقصاها ، وجربوا كل ألوان المواصلات فى العاصمة ، فمن التعلق برفرف السيارة الى عارضات العربات الكارو ؛ وضج منهم ركاب المترو وقطارات الضواحى والترام ، وراوغوا فيه السائقين والكمسارية ، وعادوا هم أنفسهم متعبين مكدودين ، فى جيوب قلة منهم قروش قليلة ، هى حصيلة ماباعوه طوال اليوم من دبابيس وابر وأمشاط ، وباغات للقمصان ، وأوراق اليانصيب ، أو الثمن الذى دفعه اليهم المعلم محروس فى مقابل أعقاب اللفافات التى جمعوها من كل ركن من أركان الدنيا التى يعرفونها ٠

كان **سعدون** أول من نهض من الفراش ٠٠ كومة القش بالقرب من النار التى أشعلوها من الحطب ومخلفات الجريد ، وكذلك كان يفعل حتى فى الأيام التى يهنأ فيها بالنوم المتصل ، فقد كان سعدون حريصا على أن يبكر بالنهوض ، وسبق السردين الى استقبال اليوم الجديد بما يحمله من متاعب وأعباء جديدة ، ولف ودوران ، وسعى وراء الرزق الذى لايرجى اتساعه ، فالسردين لايزال هشا طرى العود ، لايقوى على تحمل أعباء الرزق الكبير الذى يسعى اليه السمك ويحققه بعزم واقتدار ، فعليه أن يقنع بقدره المتواضع حتى تواتيه الفرصة ويثبت أنه جدير بما هو أخطر ٠

ان السردين لا يجرؤ على الاقتراب من أوكار السمك وان لم تكن بعيدة ، فهى تغفو على الجانب الآخر من النار الموقدة أسفل السلم الحجرى الطويل فى نفق المترو بمحطة كوبرى القبة ، والسمك من حقه أن يسهر كيف يشاء ، وأن يدخن اللفافات الرخيصة اذا قل الصيد ، أو الغالية التى يحصلون عليها بالخطف أو يمتعون بها أنفسهم عندما تكون الغنائم ذات بال ٠٠٠ كم تمنى سعدون لو اشتد عوده وصلب ، واستطاع أن يغامر كالسمك الكبير الذى يخطف رزقه وينتزعه من جيوب أصحابه فى غفلة منهم ، أو بالسطو الذى يحتاج الى جرأة وقلوب صلبة كقلب محروس ٠

ربما يكون **سعدون** قد حدث نفسه بصوت مسموع ، فقد انتفض عوضين وزفر زفرة غاضبة وهو يقول :

– أتظن أنك ستفلت منى ٠٠ وراك وراك ولو ذهبت الى السبتية ٠

ولم يشأ **سعدون** أن يبدأ نهاره بالشجار مع عوضين ، فهو يخسر معه المعركة دائما ، ويفوز عوضين بجزء من بضاعته دون أن يدفع ثمنها ، ومع هذا فهى بضاعة خاسرة لا تساوى الجهد الذى يبذل فى سبيل الحصول عليها ٠

قفز **سعدون** الى أول قاطرة تتجه الى العاصمة فى

نفس اللحظة التي كانت الابواب تغلق فيها ، واحس بالنحس يلازمه ، فرغم أنه أفلت من يد عوضين ، الا ان الكمسارى كان كالمارد يسد أمامه السبيل ، وتململ الركاب وهو يدافعهم ليشق طريقه الى داخل العربة، وتجاهل نظرات الكمسارى الساخطة، واطلق صوته مناديا :

ـ تلات ورقات بقرش ٠٠ الباغة بتاعة القمصان .

واخذ الصبي ينقل نظراته بين وجوه الركاب الذين تكدسوا داخل العربة كالسردين ٠٠ وضحك سعدون بالرغم منه وهو يرى الركاب في وضع لا يختلف كثيرا عما اعتاد عليه مع أفراد الشلة ، ولكنه تجهم وهو يرى ثيابهم النظيفة ، وعبيق الدخان المتصاعد من لفافاتهم ، وسال لعابه وهو يرى تلميذا في مثل سنه يقضم شطيرة في نهم ، وكانما تنبهت معدته فجأة فانطلقت تصوصو ، وتذكر انه لم يتناول لقمة في العشاء ، ولكزه أحد الركاب الجالسين في جنبه وهو يحاول أن يقلب صفحة الجرنال الذي يطالعه ، وأطلق سعدون نداءه :

ـ الباغة بتاعت القميص ٠٠

وكانما لم يكف الراكب قارىء الصحيفة ماسببه لسعدون من الم ، فنظر اليه نظرة هائلة كادت تتهاوى لها ركبتا الصبي، وقال الراكب وهو يشيح بوجهه ملتمسا من جاره تأييد مايقول :

ـ اصبح المترو ألعن من الترام ٠٠ لم يكف زحام الركاب حتى يضايقنا الباعة السريحة على الصبح ٠

ولم يجد الراكب استجابة من جاره ، فاشاح عنه بوجهه ورمى الصبي بنظرة ازدراء وهو يتأفف من الهلاهيل التي يرتديها ، وانكمش قليلا ليفسح له طريقا يمر منه حتى لا يلمس بذلته الانيقة ، والتفت الصبي الى الوراء ليلقي نظرة أخيرة على التلميذ الذي ياكل ، ورآه يغيب آخر قطعة من الطعام في فمه ، وخيل لسعدون أن صوتا يناديه فلم يصدق سمعه ، ومضى في طريقه نحو الباب الآخر لينزل في منشية الصدر ، ولكن الصيحات كانت واضحة هذه المرة :

ـ يا ولد ٠٠٠ يا ولد ٠

والتفت سعدون الى المنادى وهو يتساءل بدهشة:

ـ انا يابيه ؟

ـ امال خيالك ٠٠ ماتقرب ولا عايزني اجيلك لحد عندك ؟

واسرع سعدون الى الرجل الذى تجاوز سن الشباب خوفا من أن يغير رأيه ، وكان الرجل يضع دبوسا لامعا في ربطة عنقه ، ولا يدرى لماذا فكر في المعلم محروس ، هو الذى يستطيع في لمحة خاطفة أن « يعلق » الدبوس دون أن يحس به احد ، ولكنه استعاذ من الشيطان في سره ، وتقدم من الرجل يعرض عليه بضاعته ، وساله الراكب :

ـ ما معاكش أحسن من دا ؟

واندفع سعدون يقول برجاء :

ـ دا أحسن صنف والله ما معايا غيره ٠٠ التلاتة بقرش عشان افطر ٠

والتقط الراكب ورقتين من يده والقى القرش في العلبة الكرتون حتى لا يلمس يده الصبي ، وقال سعدون :

ـ خد لك كمان واحدة ٠٠

واشاح الراكب بيده ولم يصدق سعدون ، وتمتم الصبي بصوت متلعثم :

ـ ربنا يخليك ويطول عمرك ٠

وهمس لنفسه : الدنيا لسه بخير ٠٠ ياما فيه ناس في قلوبهم رحمة ٠

وانقبض قلبه عندما بلغت افكاره هذا الحد ، ويله من المعلم محروس لو اطلق عليه زبانيته أو فكر في أن يؤدبه بنفسه وهو قلمايفعل مع السردين لأن كثيرين يسارعون الى تنفيذ مشيئته مرضاة للمعلم محروس ٠٠ وتذكر سعدون أن عوضين توعده ، وخشي أن يغادر المترو في منشية الصدر حتى لا يلحق به خصمه لو أنه ركب القاطرة التالية، لو علم عوضين أنه كسب قرشا كاملا في الصباح الباكر لما تركه ، ولن يتمكن سعدون من شراء الفطيرة التي نفذت رائحتها الى خياشيمه وهو يقبض بقوة على القرش حتى لا يفلت من يده ، ان اليوم ليس كسابقه من الأيام ، وهو لن يفرط في القرش بحال ، لماذا خلقه الله ضعيفا هكذا ، كل واحد من السردين ينظر اليه باستخفاف ، وعوضين القصير النحيل ذو العظام الناتئة يسلبه في أغلب الأيام ربحه، فاذا لم يجد معه قرشا جرده من بعض أوراق الباغ ليحتال على بيعها بنفسه ، وسال سعدون

نفسه : لماذا ينتصر على عوضين دائما ؟ ولماذا استسلم له فى كل مرة ؟

وفكر فى الفطيرة والسكر الذى يعلو وجهها فسال لعابه ، واقترب من الباب ليغادر القاطرة فى غمرة ، ولكن الباب لم يكد يفتح حتى أغلق قبل أن يتمكن من شق طريقه بين الجموع المتدافعة ، وحمد الله فقد ضمن الوصول الى ميدان المحطة قبل أن يلحق به عوضين، ربما ساعده الحظ وأفلت، سوف يقفز من القاطرة بمجرد أن يفتح الباب ويختفى بين زحام المارة فى الميدان الكبير ، وليس يهمه بعد ذلك أن يلحق به عوضين اذا تمكن من شراء الفطيرة والتهامها ·

ألقى **سعدون** نظرة من خلال فرجة من الباب المغلق الى قطار الضاحية الذى كان يسابق المترو ، وفى نفس اللحظة قفزت صورة المعلم محروس الى شاشة الذهن الصغير ، انه سمكة كبيرة كهذا القطار الذى يندفع كالغول المخيف يشق طريقه فى عزم واطمئنان ، وتمنى لو انه أصبح يتمتع بمثل مهابته عندما يكبر ، لماذا تخافه الأسماك الأخرى ؟ الأنه صلب العود مفتول العضلات ؟ لا يظن ذلك ، فبين الأسماك من هو أشد ضراوة وأصلب عودا ، ربما كانت جرأته التى لا تعرف الحدود ، واقدامه الذى لا يطامنه التردد ، وغضبه السريع الذى يحمر له وجهه وينعكس فى بريق عينيه الخاطفتين· ان المعلم محروس عندما يغضب ويحمر وجهه ويلتمع البريق الخاطف فى عينيه ، لا يتريث حتى يحسم الكلام موضوع الجدل ، فان يديه تعرفان كيف تسارعان الى اختطاف النصر قبل أن يفيق الخصم ، والويل كل الويل لمن يتصدى له فى معركة ، ان مدية المعلم محروس لم تشرع سوى مرة واحدة ، وكانت تلك المرة كافية لجدع أنف خصمه ، ودخل المعلم محروس السجن ليخرج منه بطلا تهابه جميع الأسماك ، وتعمل لمديته ألف حساب وحساب ،وكذلك قفزت الى الذهن الصغير صورة الندبة التى فى العنق ميدالية الشرف التى يفاخر بها المعلم محروس ، انها اثر من معركة خاضها قبل أن يصبح السيد المهاب الذى لا يجرؤ على أن يتصدى له انسان ·

لم يبذل **سعدون** جهدا فى النزول ، فقد تكفل بذلك السيل البشرى المتدفق ليلحق المواعيد فى زحمة الحياة ، وتذكر القرش والفطيرة ، وسال لعابه من جديد ، فى الجانب الآخر من الميدان بائع الفطير، وعلى العشب الأخضر على حافة الحوض الكبير المملوء بالماء يستطيع أن يقضم الفطيرة وهو ينظر الى رمسيس العملاق فى زهو وخيلاء ، ولكن صوتا ساخرا جاء من الخلف يبدد أحلامه :

ــ قفشتك يا سعدون !

أحس **سعدون** بقلبه يغوص بين قدميه ، كان قد نسى عوضين ، ولم يعد يفكر فى غير الفطيرة والجوع الذى ينهش معدته ، ولم يكن يظن أن عوضين سوف يلحق به بمثل هذه السرعة ، وسخط فى تلك اللحظة على أمه التى تزوجت بعد موت أبيه مثلما لم يسخط عليها يوم طرده زوجها ، لو تركوه فى البيت وضربوه وقطعوا ظهره بالسياط لما بلغ شقاؤه معشار ما يقاسى منه الآن ، وأحس بيدى عوضين تأخذان بتلابيبه ، وألقى القصير النحيل نظرة ماكرة على اليد التى تقبض على البضاعة وهو يقول :

ــ مرزوقه على غبار الريق ·· نهارنا نادى ! لايمنى عالفكة ·

وقال سعدون بصوت مرتجف وهو يحاول اقناعه:

ــ والله ــ لسه ما استفتحناش ·

واطلق عوضين ضحكة ماكرة تجاوبت لها ضحكات السردين الذى كان يقتفى أثره ليرى فصلا جديدا فى الرواية التى اعتادوا رؤيتها منذ زمن ، وقال عوضين وهو يشد قبضته :

ــ أنا عادد الورق ·· بعت كام ؟

ــ بقرش ·

قالها سعدون وهو ينكس رأسه فى استسلام، وانتشله صوت عوضين :

ــ ناولنى ·· بسرعه يا واد ·

ــ لا !

قالها سعدون باصرار هذه المرة والدم يصعد الى رأسه ، واخترقت أذنه ضحكات ساخرة ، وعاد يقول وهو يضرب الأرض بقدميه :

ــ بقولك لأ !

وسمع واحدا من السردين يقول :

ــ شوف عينيه بتبرق ازاى ! ما تقولش المعلم محروس ؟!

تقافزت الى الذهن الصغير صور شتى ، أمه وأبوه الذى مات ليترك لهما البؤس والشقاء ، والمعلم

محروس وبقية الأسماك ذات الزعانف القوية والأشواك الحادة ، وزوج أمه ذو القسمات الجامدة والقلب الذى لايلين ، والتلميذ الذى يقضم الشطيرة فى كسل لذيذ وهو يجلس فى راحة تامة لا يحمل هما أو يفكر فى غد ،والراكب الذى يطالع الصحيفة فى تأفف ظاهر كأنما لايعجبه فى الدنيا شىء ، والرجل الذى نفحه قرشا كاملا دون مساومة ، ونفذت الى خياشيمه رائحة الفطير ، وأفاق على الألم الذى أحسه للصفعة التى نزلت على خده البارد ، ولأول مرة فى حياته جمع سخطه على الدنيا فى اللطمة التى رد بها على عوضين ، وطرقع القلم وأحدث دويا هائلا صفق له السردين ، وسمع واحدا يقول :

ـ وقعتك طين يا سعدون !

وبادل سعدون المتكلم نظرة بنظرة يتقد فيها الغضب ، وفى سرعة خاطفة تخلص من قبضة عوضين وهو يلوح فى وجهه مهددا ويقول متوعدا :

ـ لو مديت ايدك على النهاردة حاقطعها !

وشد عوضين قامته ومد رأسه مناطحا سعدون، وقال وهو يتلفت حوله مستمدا العزم من أقرانه :

ـ يظهر ان آخرتك قربت .

ولوى عوضين رقبته حتى لامست رأسه المشدود ذقن سعدون ، ودفعه بكلتا يديه الى الوراء ليطرحه أرضا ، ولكن سعدون كان أسبق منه هذه المرة ، فقد تراجع خطوة لينقض عليه لاويا عنقه ، مقيدا كتفيه ، وفوجىء عوضين الذى لم يكن ينتظر كعادته أدنى مقاومة ، ولم يدخل فى روعه أن سعدون قادر على أن يرد الاعتداء بمثله ، لقد كان يكفى أن يناوش سعدون ويتوعده ليسلم دون مقاومة، ووجد عوضين نفسه ملقى على العشب الأخضر وسعدون جاثم فوق صدره ، وهلل السردين وتعالى الهتاف ، وتخلى **سعدون** عن خصمه وهو ينفض التراب والحشائش الجافة التى علقت بجلبابه المهلهل ، ونهض عوضين وهو يقول بصوت خلا من رنة الثقة التى كان يتكلم بها من قبل :

ـ أنا اتزحلقت لكن المرة دى مش حاعتقك .

وابتسم سعدون ابتسامة الضعيف الذى واتته شجاعة المارد بعد أول نصر أحرزه فى حياته ، لم يعد يخاف خصمه الذى كان ينتصر عليه بلا معركة، ليس فى الحياة مكان لضعيف ، لقد كان هو السبب فيما أحرزه عوضين من انتصارات سابقة ، وهو لن يسمح له بالنيل منه بعد اليوم ، ولم يتردد سعدون هذه المرة ، فاندفع نحو خصمه ليجرب حظه من جديد ، ولم تطل المعركة ، فقد تهاوى عوضين وجثم سعدون فوق صدره مرة أخرى ، ونهض الصبيان وقد نكس عوضين رأسه فى مذلة ، وسعدون يشمخ بأنفه كأنما أمسك بيده النجوم ، وأراد السردين أن يتمتع بيوم حافل ، فقال له أحد الصبية متحديا :

ـ ايه رأيك بقى يا بطل تخش باط لحسونة ؟

حسونه ؟! قالها سعدون لنفسه وقد طارت حلاوة النصر من رأسه ، ومن هو حتى يتحدى حسونة أقرب السردين شبها بالأسماك ؟!

وشجعه هتاف السردين وتصفيقهم ، وألقى نظرة خابية على حسونة الذى وقف يرمقه باسما فى استخفاف، واضعا ذراعيه حول وسطه فى ازدهار، وسمع صبيا آخر يقول :

ـ هو يستجرى !

ونظر سعدون الى عوضين فلمح بريق التشفى فى عينيه ، وصعد الدم الى رأسه من جديد ، والتمع فى عينيه البريق الخاطف فلم يتردد فى اقتحام الخطوات التى تفصله عن حسونه ، ودارت المعركة والسردين يرقب النتيجة فى ثقة صرفته عن متابعتها فى جدية ، ولكن حسونة سرعان ما وقع على الارض وسعدون يشدد الضغط على عنقه ، وتحشرج صوت حسونه وهو يطلب العون من أنصاره ، فخلصوه من بين يدى سعدون الذى تقمصته الشياطين وزودته بقوة مجنونة ، ونهض سعدون فى هذه المرة أكثر ثقة فى نفسه ، وأحس بالسردين ينكمش وهو يفسح له الطريق ، وخيل اليه أن أنفه تكاد تبلغ تاج رمسيس ، ورأى فيما يرى الحالم ان وجه التمثال يتقمص شكل محروس ، وود لو ينطحه برأسه ويثبت له أنه لم يعد يخشى أحدا ، وأنه قادر على تحدى الزمان بكل قسوته ، ووضع يده فى جيبه ليبحث عن القرش الذى ضمن أن يبتاع به الفطيرة، ولكنه أخرج يده فارغة ، وبحث عن القرش ما وسعه البحث حتى أدرك ألا أمل فى العثور عليه ، وأحس ببعض الضيق ، ولكنه سرعان ما نفض الضيق عن نفسه ، لقد أصبح قادرا على أن يكسب ما يشاء من القروش ، فما يضيره أن يضيع فى يومه قرش ؟!



العدد ٥٦

الثمن ٣ مـ

الدار القومية للطباعة والنشر